

مصطفى محمود

# الخروج من الشايق



١٩٩٩

كانت العرب تخفض شوارع ضيقة مليئة بالحفر وبين حين وآخر يتصاعد الرشاش فيغرق النوافذ وينزل السائق لينتزع العرب من حفرة عميقة مليئة بماء المطر ، ثم يعود ليكركر في طريقه ونحن نتخضخض في أماكتنا والعرق يسيل على جباهنا من شدة الرطوبة .. وكان الدليل « كاكوما » إلى جوارى يصف المناظر التي نمر بها ويشير بيده قائلاً :

هذه دلهي عاصمة الهند القديمة شيدت سنة ١٦٣٨ .. وهذه العمار التي تراها يعود تاريخها لأكثر من ثلاثمائة عام وهذا النهر الذي يتهادى أمامنا هو نهر « جمنا » أحد أفرع نهر الكنجج ..

وكان على الشاطيء أمامي مئات الهنود الفقراء وقد افترشوا الأرض ونصبوا خياماً مهلهلة من الخرق القديمة وكان الذباب والقذارة في كل مكان حيثما أرسلت بصرى ..

وماءلت نفسي .. من أين أتى طاغور بكل الجمال والنقاء والشاعرية التي قطرها في قصائده ودواوينه كالرحيق المسكر ..

كانت العرب تخفض شوارع ضيقة مليئة بالحفر وبين حين وآخر يتصاعد الرشاش فيغرق النوافذ وينزل السائق لينتزع العرب من حفرة عميقة مليئة بماء المطر ، ثم يعود ليكركر في طريقه ونحن نتخضخض في أماكننا والعرق يسيل على جباهنا من شدة الرطوبة .. وكان الدليل « كاكوما » إلى جوارى يصف المناظر التي نمر بها ويشير بيده قائلاً :

هذه دلهي عاصمة الهند القديمة شيدت سنة ١٦٣٨ .. وهذه العمار التي تراها يعود تاريخها لأكثر من ثلاثمائة عام وهذا النهر الذي يتهادى أمامنا هو نهر « جمنا » أحد أفرع نهر الكنجج ..

وكان على الشاطئ أمامي مئات الهنود الفقراء وقد افترشوا الأرض ونصبوا خياماً مهلهلة من الخرق القديمة وكان الذباب والقذارة في كل مكان حيثما أرسلت بصري ..

وساءلت نفسي .. من أين أتى طاغور بكل الجمال والنقاء والشاعرية التي قطرها في قصائده ودواوينه كالرحيق المسكر ..



كانت الصورة الأولى التي طالعني عن الهند صورة حزينه تعيسة  
ولم تكن تبدو لي بالمكان المختار الذي يلهم الشاعر بمثل هذه الأبيات  
الساوية ..

وكان اليوم هو اليوم الأول في الاحتفالات السنوية بذكرى  
طاغور ..

والظاهر أني سرحت طويلا في تساؤلاتي لأن صوت الدليل  
« كاكوما » أيقظني وهو يصف قوساً كبيراً أثرياً ويشير بيده إلى  
نقوش مكتوبة بلغة سانسكريتية ..

ولم أكن أسمعه وإنما كنت أصغى بكل حواسي إلى عويل ناي  
يعزف عن قرب .

وأيقظ في صوت الناي تلك الوشائج الغامضة التي تضم كل  
الشرقيين .. وذهرت كأنما أنا أتنقل في وطني .. وكأنما أستمع إلى  
أحزاني .. وكأنما هذه الوجوه الدامعة وهذه الأيدي المعروقة التي  
تمتد لتشحن هي الأيدي التي أعرفها في الحسين والسيدة وأزقة القاهرة  
القديمة ..

لم أفق إلا على صوت كاكوما وهو يصيح .

— لقد وصلنا .. هذه هي القاعة ..

ونظرت إلى الأثر الجليل الذي يرتفع أمامي .

هذه إذن هي القلعة الحمراء ..

أخيراً .. أنا في الهند ..

وكنت أتأمل البناء الأسطوري الشامخ وأشعر أني عدت ألف  
سنة إلى الوراء وعلى عتبات البناء كان هناك زحام .. وكانت هناك  
حلقة من الهنود حول فقير هندي يجلس في الوسط على ملاءة بيضاء  
وقد عقد يديه على صدره ومضى يتمتم وقد أغمض عينيه ..

ونظرت إلى دليلي أسأله عما يجري ولكنني فوجئت به يشدني في  
اشمزاز ..

— هذه شعودة .. لقد جاء الوقت لتتخلص من هذه الشعودة ..

ولكن الفقير الهندي بدأ يرتفع عن الأرض .. بدأ يطير في الهواء  
دون أن تمسك به يد وتجمد الدم في عروقي وأسرعت إلى الحلقة  
في فضول مسحور ..

مددت يدي تحت الرجل وقد خيل لي أن هناك أعمدة خفية  
تحمله .. ولكن لم يكن هناك شيء ..

كان الرجل يفترش الملاءة في الهواء وينام عليها في هدوء وكأنها  
بساط سليمان ، كاكوما ما زال يشدني من يدي ليدخل في القلعة  
هاتفاً ..

— هذه شعودة .. شعودة لا تستحق منك أي اهتمام ..

— ولكن هذا الفقير عنده من العلم ما يفوق علم كل الذين يبنون  
الطائرات والنفاثات ..

— سيدى .. إننا شعب فقير جداً .. وقد رأيت بنفسك القذى  
والأقذار والأدران والأوبئة والأمراض فى كل مكان .. وهذا  
الإغراق فى الغيبيات والغوامض هو الذى قعد بنا طوال هذه القرون ..  
— ولكن هذه معجزة .

— إذا كان الرجل يأتى بالمعجزات فلماذا لم ينقذنا وينقذ نفسه  
من المجاعات .. إن أول من يموت فى المجاعات هم هؤلاء الفقراء  
المشعوذين .. سيدى إنها مأساة .. أنت لا تعرف الهند .. إن المعجزة  
الحقيقية هى ما نصنعه الآن .. نحن الآن نصنع الصلب والآلات  
الحديثة ونعلم أولادنا فى المدارس .. ماذا فعل صاحبك بعد أن أتى  
بمعجزته .. إنه يشحذ .. انظر إنه يشحذ ..

وكان الفقير الهندى قد عقد ذراعيه على صدره وراح يثلق  
الروبيات التى يلقى بها المتفرجون فى حجره دون أن ينطق بحرف ..  
وشدنى كاكوما من يدى وصعد بنى على درج القلعة .. وراح  
يصف لى النقوش على السقف والجدران ويتكلم كلاماً كثيراً عن  
تاريخ القلعة وعن الذى بناها وعن العصور التى تعاقبت عليها ..  
ولكنى لم أكن أسمع .. كنت ما زلت أفكر فى الرجل الذى طار ..

— ولكنى لا أرى فى الأمر شعوضة .. إن للرجل قدرة خارقة ..  
هذه معجزة واضحة لكل ذى عينين ..

— أين المعجزة .. أين القدرة الخارقة .. إذا كان للرجل تلك  
القدرة الخارقة فلماذا لا يعمل بها لياً كل بدلا من حياة الجوع والمرض  
والفقر التى يعيشها ..

— ولكنه يطير .. ألا ترى ... إنه يطير فى الهواء ..

— إن الطائرة تطير أسرع منه .. إننا فى عصر الصواريخ والنفاثات  
والأقمار الصناعية .. إنه مواصلة متخلفة جداً ..

— ولكنه يأتى بشيء خارق يخالف جميع القوانين ..

وكان الفقير الهندى قد بدأ يهبط بهدوء إلى الأرض وكأنه يهبط  
بمظلة .. حتى استقرت ملأته على الأرض .. وكان ما يزال على حاله  
مغمض العينين يتمتم .. بينما راح الدليل يبرطم فى ضيق واضح ..

— ألا ترى أنه لو عمل وفقاً للقوانين لوصل إلى نتيجة أحسن  
وأضمن .. إن إخوانه الهندود الذين دخلوا كليات الهندسة والطيران  
يخترعون أشياء أحسن .. إننا الآن فى عصر العلم .. ولا شيء يؤخر  
الهند سوى هؤلاء المشعوذين .. إنه لأمر مخجل .. أمر مشين .. العالم  
يتقدم مسرعاً ليغزو الفضاء ونحن ما زلنا فى عصر الحواة نأكل  
الثعابين ونمشى على المسامير ونخطو على الهواء ..

جلس على ملاءة وعقد يديه على صدره وأغمض عينيه وطار.. هكذا ببساطة .. بدون مروحة وبدون موتور وبدون وقود .. بمجرد الإرادة .. بقوة العقل الخالص ..

أى إرادة خارقة نافذة وراء هاتين العينين المغمضتين ..

كان منطق الدليل فى غضبه وثورته يبدو لى شاحباً .. ولم تكن كل هذه الثورة تعنى لى شيئاً أكثر من غضبية قومية فى غير محلها .. إنه يتكلم عن العلم .. أى علم ! ؟ .. وأمامنا علم فوق كل العلوم . وماذا يضير الفقير فى أنه يشحذ .. وما ذنبه فى أن الحظوظ والأرزاق فى هذه الدنيا موزعة .. هكذا ..

كنت أرى الرجل وقد عقد يديه على صدره وطار .. وطار .. وأقول لنفسى .. كيف .. وتسرى فى بدنى الرعدة ..

هل يمكن .. أن يخرق القانون الطبيعى بهذه البساطة ..

أم أنه لا قانون هناك ..

أم أن الإرادة هى القانون الأعلى فوق جميع القوانين ..

ولكنى أريد الطيران فلا أستطيع الطيران ، ولا أستطيع أن أرفع نفسى إلا قفزاً بقوة العضلات ثم أعود فأقع على الأرض

قليل الحيلة مهيف الساق .. بينما الرجل يتمدد فى الهواء مغمض العينين وكأنه يسبح على بحر من الزيتق ..

إنه يطير فى وضوح النهار ..

عرياناً إلا من خرقة لاتكاد تستره ، ممدداً على الهواء كأنه ممدد على فراشه .

لاحيلة هناك ولا شعوزة ..

كيف ! ؟ ..

كيف ! ؟ ..

أريد أحداً أسأله وأكلمه وأناقشه وأفضى له بحيرتى ..

الدليل الذى يرافقتى يكلمنى عن القلعة وعن ماضى الهند المذهل .. وكلما عدت إلى الموضوع أشاح بيديه ..

مالى أنا وهذه الحجارة إذا كانت من رخام أو من مرمر ..

هذه القلعة رفعها إنسان بالجهد الجهد والعناء والعرق ..

ولكن هناك إنسان رفع نفسه .. تمدد على الأرض وطار .. دون أن يبذل جهداً .. ودون أن تنقبض له عضلة .. استرخى فى اطمئنان كأنه لا يفعل شيئاً ..

ثم فعل مستحيلاً ..

طول الوقت وأنا أصعد درجات القلعة ، وأنا أدور في شرفاتها .

وأنا أعود في طريق عبر الشوارع الضيقة المليئة بالحفر ..

وأنا أدخل نيودلهي ..

وأنا أصل إلى فندق أشوكا حيث أنزل مع الوفد الذي أرافقه ..

وأنا أتناول عشاءى ..

وأنا أضع رأسى على فراشى لأنام ..

وأنا مطارد برؤيا لاتفارقنى ...

رؤيا رجل تمدد على الأرض وأنغمض عينيه في استرخاء

وطار .. هل كنت أحلم ..

لا.. أنا عائد لتوى من رحلة نهار شاقة .. أنا يقظان .. حواسى

كلها حاضرة ..

لم أستطع النوم ..

قمت من فراشى وفتحت النافذة ..

وقفت أتنسم هواء نوفمبر .. الرقيق .. فكرت طويلاً ..

— ١٠ —

كل ما قرأت من علوم لم يسعفنى ..

عملى كمفتش آثار ودارس للغة المصرية القديمة ..

كنت قد بدأت أكتب الأوراق الأولى فى رسالة دكتوراه

فى اللغة افيروغليفيه ..

كل هذا لاشىء ..

أنا لا أفهم شيئاً ..

لقد عشت طول حياتى جاهلاً ..

ارتديت ثيابى ونزلت بهو الفندق ..

كانت الساعة متأخرة من الليل وكان البهو خالياً .. إلا من شيخ

واحد يجلس فى ركن يشرب ..

إنه صديقنا أمرى خان المرافق لوفدنا ( يبدو أن اسمه معروف

من عمرو خان ) .. وشعرت بالراحة وأنا أتطلع إلى وجهه الرقيق

المتقن ..

أخيراً وجدت من يستمع إلى ويفهمنى ..

وكان الرجل ينظر إلى بابتسامة تنسج فى ترحيب كلما اقتربت

منه ..

مد يديه مرحباً وقال :

— ١١ —

— أرجو أن تكون مستريحاً في الفندق .. يبدو أنك لم تستطع النوم .. هل الجو يضايقك .. إن شهر نوفمبر ألطف الشهور جواً عندنا ..

— إنه ليس شيئاً خاصاً بالنوم أو الحر أو الفندق .. إلى .. إلى .. إلى لا أعرف ماذا أقول .. لقد شاهدت شيئاً حيرني .. لقد كنت اليوم في القلعة الحمراء ..

ورأيت يبتسم ويردف مقاطعاً في أدب ..

— إنه الفقير « براهما واجيسوارا » .. أنا أعرف ..

— إنك لن تقول إنه مشعوذ كما قال الدليل .. لقد رأيته بعيني هاتين ..

— لا ، إنه ليس مشعوذاً .. إن بعض الشباب العصري عندنا أصبح يكره هؤلاء الفقراء لأنهم ينشرون حولهم جواً من الإيمان بالروحية .. وهم يشكلون فيما بينهم جمعيات لمحاربتهم .. وأنت تعرف أن مهاتما غاندى قتل بيد واحد من هؤلاء المتعصبين .. ولا بد أن دليلك كان من هؤلاء الشبان .. إنها القصة المعادة .. قصة الصراع بين الجديد والقديم ..

— ولكن هل يمكن .. هل يمكن أن يفعلها .. أن يتمدد على الأرض ويطير .. لقد رأيته بعيني .. إنها لا يمكن أن تكون خدعة .. — إنها ليست خدعة أنا أعرف براهما واجيسوارا .. وهو صديقي .. لقد رأيته يدفن نفسه حياً ويعيش تحت التراب أياماً ..

ورأيت يتحكم في نبضات قلبه فيخفض سرعتها إلى ثلاثين نبضة في الدقيقة ويرتفع بها إلى مائة بمجرد الإدارة .. ورأيت يتحكم في تمدد شرايينه وانقباضها فيمد لك يده فإذا هي حمراء محتقنة ويمد لك الأخرى فإذا هي صفراء غاص منها الدم .. إنه رجل عجيب .. عنده هبات غير طبيعية .. وهذا كل ما يمكن قوله .. — ولكن كيف .. كيف ؟

— هناك أشياء لا نعرفها ويبدو أن عقولنا تملك قوى ذاتية تستطيع أن تؤثر بها في الأشياء من غير طريق الجسد والحواس .. لقد اكتشفنا قوة البخار والكهرباء والذرة ولكني أعتقد أننا يوماً ما سوف نضيف مصدراً آخر خطيراً للقوة .. هي قوة العقل نفسه .. — تقصد الروح ..

— لا أدري .. سمعنا الروح أو العقل أو النفس .. إنها كلمات تؤدي إلى الكثير من الخلط ..

— قل لي بصراحة هل تعتقد ببقاء الإنسان بعد موته ..

— إذا كانت الشمعة حينما تنطفئ يظل نورها يرتحل ملايين السنين في الفضاء حيث يمكن أن يلتقط ويشاهد .. وهذا شأن شمعة .. فما بالك بالإنسان تنطفئ حياته .. كيف تستبعد أن يكون له بقاء بعد موته .. أنظر إلى السماء ترى بين النجوم اللوامع نجوماً تتألق ، يقول لك الفلكيون أن نورها انطفأ من ملايين السنين .. وهذا شأن المادة باقية أبداً .. تتحول وتتحول ولكنها لا تنفنى فما بالك بالإنسان وهو أرقى مادة في الوجود ..



ثم تعال لنفكر معاً .. ما المادة التي يطنطن بها الماديون .. إنها لم تعد في ضوء العلم المادة الصلبة التي نعرفها وإنما تبخرت إلى خلاء منشورة فيه ذرات .. والذرات قال لنا العلم أيضاً إنها خلاء منشورة فيه ألكترونات تدور حول أنوية من البروتونات .. وما الألكترونات والبروتونات في النهاية إلا شحنات كهربائية .. أى طاقة .. مجرد طاقة .. إذن فالمادة طاقة .. نشاط .. مجرد نشاط موجى .. مجرد حادثة تجرى في الفضاء المطلق ..

وتوقف أمرى خان ليرتشف رشفة من كأسه ، ثم صفق للجرسون ليطلب لى كأساً .. ولكنى طلبت كوباً من عصير الليمون ..

كنت أريد أن أحتفظ بعقلي يقظاً متفتحاً لكل كلمة يقولها .. وأردف أمرى خان وهو يصب لنفسه كأساً ثانية ..

— إذا كنت قرأت النسبية فأنت تعرف أن أينشتين قال إن كل جسم له مجال حوله وأن هناك بعداً رابعاً غير مرئى للمادة هو الزمن ، نعرفه بالحدس والتخمين ، وتقصر حواسنا المباشرة عن إدراكه .. فلماذا تعجب إذا قال لك علماء الروح إن الجسم الإنسانى له مجال مغناطيسى حوله وأن الروح تعيش في العالم الرباعى الأبعاد وتدركه .. وأنها ذات طبيعة موجية تمكنها من اختراق الحجب .. وأنها حادثة من الحوادث التي تجرى فينا وحولنا في الفضاء المطلق ..

إننا نرى الأشعة البنفسجية ولا نرى الأشعة فوق البنفسجية ، لأن أمواجها أقصر وذبذبتها أسرع .. وعلم الطبيعة يقول لنا أنه كلما كانت الذبذبة أسرع والموجة أقصر فإنها تكون أكثر نفاذاً واختراقاً للمواد وأكثر خفاء على الحواس .. وما الأرواح إلا هذه المخلوقات الموجية ذات الذبذبة العالية : فهي تخترقنا وهي فينا وهي حولنا ونحن لا نسمعها ولا نراها ..

وليس هناك ما يدعون لأن نتصور أنه لا توجد بين أطوال الأمواج والذبذبات إلا الأمواج والذبذبات التي أدركناها بتقاييسنا .. والطبعي أن نتصور أن هناك مراتب ودرجات من الذبذبة لا نهاية لها ..

والنسبية تقول لنا أننا لو سرنا بسرعة الضوء لرأينا شعاع الضوء الذى يسير بجانبنا له ملمس ومظهر المادة الصلبة وكأنه قضيب من حديد ..

وربما لو سرنا بهذه السرعة لرأينا الأرواح أجساماً متشاقلة ملموسة كأجسامنا ..

إن ما يظهر لنا من أمر هذا الكون يتوقف على الموقف النسبى الذى نلاحظ منه الأشياء والحقيقة يمكن أن تتخذ ألف شكل لآعيننا إذا اتخذنا ألف موقف نلاحظها منه .. نقطة الماء إذا نظرنا إليها بالعين غير نقطة الماء إذا نظرنا إليها بالميكروسكوب غير نقطة الماء إذا نظرنا إلى بخارها بالإسبكتروسكوب ..



إن شهادة الحواس سوف تظل تنقل لنا مراتب مختلفة من الحقيقة كلها نسبية بحسب الظروف التي نشاهدها فيها ..

وسكت أمرى خان هذه المرة طويلاً وراح يهز الكأس بما فيه من قطع الثلج العائمة ..

وكنيت أنا طول الوقت مشغولاً بكل كلمة قاطها ..

ثم قطع الصمت قائلاً :

— ألا توافقني أن هناك أشياء كثيرة لا نعرفها في هذه الدنيا ..

— أنت محق ..

— أنت كعالم آثار مصرى عشت في القرون البائدة وعاشت أفرواً ونظماً وعصوراً عفا عليها التاريخ ... ألم تشعر مرة وأنت تقرأ مخطوطاً من البردى أنك تلمس حقيقة إنسانية ما زالت تتنفس حولك .. ألم يعتقد قدماء المصريين في البعث بعد الموت ..

— نعم لقد اعتقدوا بالإله الواحد وبالروح وبالبعث ..

— دون أن ينزل عليهم دين ..

— نعم ..

— وكان هذا حال أكثر الأمم بدائية وأكثر الأمم حضارة ..

— نعم ..

— ألا يدل هذا على أن وجود الروح حقيقة بديهية لا تحتاج إلى إعمال عقل وأنها أمر مفروغ منه وبداهة من بداهات الفطرة .. ألا تبدو هذه الحقيقة غريبة ..

ولقد كانت تبدو هذه الحقيقة غريبة بالفعل ..

وسقط بيننا حاجز الصمت من جديد ..

ولكننا كنا أشد ما نكون تعطفاً واتصالاً في صمتنا وكأنا نتخاطب كلانا بلغة مهموسة .. ومر وقت لم تكن تسمع فيه إلا خشخشة النسيم في الحديقة وطققة الثلج في كأس أمرى خان .. وكانت هناك فكرة تشغني وتدح على طول الوقت ..

قمت لصديقي ..

— كلامك عن الروح وإن دل على أنك تؤمن بوجودها إلا أنه يدل أيضاً .. وهذا عجيب .. على أنك لا تؤمن بالروحانية على الإطلاق ..

— لا أفهم ماذا تعنى ..

— كلامك عن الروح بأنها أمواج على درجة عالية من الذبذبة معناه أنك تعتقد أن الروح مادة ولكنها مادة أكثر لطفاً وشفافية من مادتنا .. فأنت إذن لست من أنصار الروحانية .. وما تقول به هولون من المادية .. لنسمها المادية الجديدة ..

وابتسم أمرى خان حتى بدت أسنانه البيضاء ثم ضحك قائلاً :

— ألم قل لك أن المعركة تدور وتدور ثم تنتهى إلى مجرد خلافات إسمية .. لن أخيب أملك .. ولن أدور بك في جدل بيزنطى .. اعتبرنى صاحب نظرية في المادية الجديدة .. مادية رحبت حتى اتسعت لمعانى الروح والجسد .. سيدى فى صحتك ..

ورفع كأسه مردفاً :

— لن نتعرك على مجرد خلافات إسمية ..

وشعرت فى تلك اللحظة أنه محادث جذاب حقاً وأنى لم أتكبد مشقة السفر إلى الهند عشياً .. فيها هنا صديق نادر سوف أستمتع برفقته صوب أرحمة ..

وصارحته بـ «عجبى .. وحر وجهه تواضعاً ولم يرد ..

قمت له ..

— إن أسمى الوحيد الذى أرجو أن تحققه لى فى بلدك أن تعرفنى

على صديقك الفقير « براهيم و اجيسوارا » ..

.. هذا من بسيع .. عتبر طلبك مجاباً .. غداً بعد الاحتفالات سيقى بالبراهما و اجيسوارا ..

— لا شأن لى بالاحتفالات .. لقد جئت من يادى طالباً الجلوس  
بين يدى البراهما .. إنه كل شغلى وشاغلى من اليوم ..  
ورأيتہ يبتسم ابتسامته الواسعة ويقوم محيياً ..

— لك ما تشاء .. أرجو أن تنام جيداً الليلة لتتحمل أعصابك  
ما سوف تراه غداً فى حضرة البراهما .. ولقاؤنا غداً فى الصباح  
الباكر ..  
وضم كفيه ورفعهما إلى أعلى جبهته علامة وداع ..  
واقترقنا ..

— إن براهما واجيسوارا ليس شحاذاً جاهلاً كما صور لك دليلك  
، إنه حريج أوكسفورد ويتحدث الإنجليزية بطلاقة ويحيط بالفلسفة  
الغربية وآدابها إحاطة متخصصة وهو عضو فى جمعية مارلبورن الروحية  
بلندن وله رسالة قيمة فى الرياضيات العليا ..  
— ولكنها نهاية عجيبة تلك التى وصل إليها البراهما بعد طول  
درسته وتفلسفه ..

— إنه الآن يعيش فى كهف بالجبل وحيداً يصل طول النهار  
وفى وقت الظهيرة ينزل إلى الساحة أمام القلعة الحمراء ليطلع  
— على الحقيقة ..



— لقد دفع ثمناً كبيراً في سبيل الوصول إلى هذه الحقيقة ..  
حتى الاحترام لم يحصل عليه .. فيها هو أحد مواطنيه ينظر إليه شذراً  
كما ينظر إلى حشرة عالقة بسترته ..

— يبدو لي أنه لم يعد يهتم بهذا الاحترام التقليدي وأنه يتطلع إلى  
مثل أخرى غير المثل التي نتطلع إليها في حياتنا العادية .

— إن كل ما يطلبه من الدنيا هو خبزه كفافه .. وأن يوصل كلمته  
إلى الدنيا ويمضي ..

وأثناء صعودنا الجبل كان يمر بنا أفراد طائفة الشيخ بشعورهم  
المرسلة وعربات الركشا يجرها فقراء الهنود .. والثيران والجواميس  
في أعناقها الأجراس .. والأطفال عرايا يستحمون في الحفر التي  
ملأها المطر ..

وكان هواء الجبل يرق ويشف كلما صعدنا وتقل مافيه من  
رطوبة ... ويعبق بروائح الأزهار .

وكانت الطيور الملونة ترفرف فوق رؤوسنا من كل جنس ..  
والقروود تقفز طليقة على الأشجار وتتخاطف ثمار الجوز ..

وكانت في الطبيعة بكاراة وعذرية تهز القلب ..

وأنهم فوهه تنهف تنهف عليه تعريش الأشجار توقوف صديقي  
في ..

— هـ يسكن برهم وحيسو ..

وتصيرت لعصافير ترقرق وحن مزيج سعريش كشبهه ونشجس  
ص ..

وعني بعد خطرات أممنا كن يجلس إبراهيم ، عينه مغمضت  
و ..

وفتح عينيه بصدء حينما اقترنا معه .

وضم أمرى خان كفيه ورفعهما إلى أعلى في تحية سلام وقدمي  
هـ مسأ :

صديق الدكتور توفيق ، من القاهرة ..

ورفع إبراهيم كفيه مصمومتين إلى أعلى يحينى هـ مسأ بالجزيرة  
مسبمة :

.. مرحباً بك في بلادنا .

وغيب إبراهيم لحظة في داخل كهفه ثم عاد يحمل عني يديه  
و ..

— تمض .. أرجو أن تكون بلادنا قد أعجبتك ..

— إن أروع ما في الهند هو براهما واجيسوارا ..

— عفواً لعلك تقصد أتعس ما في الهند .. لقد بدأت من أسفل السلم .. وهذا طبيعي على أى حال ..

— بل بدأت من أعلى السلم ..

— هذا إطرأ لا أفهم له مبرراً ..

وكان البندق مملحاً وعليه شطة وبدأت أسعل وأعاني من عطش شديد ، وقال البراهما وهو يقودني من يدي :

— هنا بئر قريية .. مياهها عذبة باردة شافية .. دعني أساعدك ..

وغاب في الداخل لحظة وعاد يحمل جرة ليملاها .. وخرجنا نحن الثلاثة إلى ناحية البئر ..

وكانت بئراً عميقة تنحدر إليها المياه في جداول رفيعة من السيول التي تهبط على قمة الجبل .. وكانت للبئر سلام تهبط إلى القاع .. درجاتها منحوتة في الصخر ..

وكانت ابئر مليئة لحافتها من السيول التي نزلت منذ أيام .. وكانت مياهها شفافة تكشف عن قاع بعيد غائر مرصع بالحصى ..

ورأيت البراهما يحمل الجرة وينزل درجة درجة في هدوء وهو يقول إن مياه القاع هي أظهر ما في البئر لأنها بعيدة عن الحشرات

والهوام ولا يردده المضباع وأنه سيملاً إلى الجرة من ماء القاع ..  
مكث طول الوقت ينزل في هدوء درجة درجة حتى غمر الماء صدره  
ثم عقه ثم رأسه ثم غطاه تماماً وهو ما زال ينزل في هدوء وكأنه  
ينزل في بدروم نادى ليلى .

هل حن الرجل ؟

وتمسكت بصديقي أمتف به .. البراهما غرق . البراهما أغرق  
بسه في البئر ..

وكان صديقي ينظر إلى في هدوء ويتسم .. وأنا أصرخ :

كيف تقف سكتاً هكذا لا تفعل شيئاً والرجل يعرق ..  
وتمرى خان يجيب في هدوء وهو يشير إلى البئر ..

انظر إنه لا يغرق .. إنه ما زال يهبط في هدوء تحت الماء  
أزلاً إلى القاع .. إنه يعرف طريقه جيداً كأنه في بيته ..  
ونظرت إلى البئر ..

كان البراهما ما يزال ينزل درجة درجة في هدوء .. حتى بلغ  
القاع فجلس القرفصاء في هدوء وأغمض عينيه وأغرق في الصلاة  
ونسى كل شيء .. ثم سكنت حركته تماماً وصرخت :

— البراهما مات .. غرق .. اختنق .. لماذا تحملته هكذا ولا تفعل  
شيئاً .

وأجاب أمرى خان فى هدوء ، وهو يحملق فى البئر وينظر إلى  
ساعته :

— البراهما يصلى بقلبه .. هذه عادته دائماً .. يصلى فى كل مكان  
تحت الماء ، وفوق الأرض ، وفوق الهواء ..

ولكن هذا مستحيل .. إنه رجل أخرق .. إنه يخنق هجدا  
فى ثوان وهو تحت الماء حيث لا يوجد أكسيجين يتنفسه .. إن الجسم  
لا يستطيع أن يعيش بدون أكسيجين إلا ثوان معدودة .. هذه قوانين  
بيولوجية ..

— هذه قوانينك وقوانينى نحن الذين ما زلنا فى أولى ابتدائى فى  
مدرسة الأسرار .. انظر إلى ساعتك وستعلم كم سيبقى البراهما تحت  
الماء بدون أكسيجين ..

ونظرت إلى ساعتى فى رعب .. كانت قد مرت دقيقتان منذ  
هبوطه تحت الماء وكان عقرب الدقائق يمشى ببطء ويزحف زحفاً  
على المينا البيضاء .. وكنت أرتجف من الخوف وقد تثلجت أطرافى ..  
خمس دقائق .. عشر دقائق .. وهمس أمرى خان ..

— نستطيع أن نجلس فلسنا فى عجلة من أمرنا .. ومثل هذه  
الصلوات تطول عادة ..

وشدنى من دراعى وأجسنى بجواره على حافة البئر وهمس عاتباً  
حينما رآنى أرتجف :

ثم أقول لك يجب أن تدم جيداً حتى تكون فى حالة عصبية  
..

— إن ما أراه هو الجنون بعينه ..

إن ما تراه هى معجزة لعقل وليست معجزة الجنون .. إنك  
فى قدرة العقل الفائقة على إيقاف كل عمليات الحياة والسيطرة عليها  
بصوت الإرادة ..

ولكن كيف يتنفس لقد مصت خمس عشرة دقيقة ..  
بأنه لا يمكن أن يكون حياً .. هذه جريمة انتحار .. لابد من عمل  
شئ ..

وكرر قبلاً بدلاً من هذا القلق الذى لا جدوى منه .. حينئذ  
صبر الجميع عمست الحياة البيولوجية فيها لا تتحرك من الأكسيجين  
بلا فـر يسراً تدفها .. أقول مم يتحدث سمكة .. وهو يحصل الآن  
على هذه كمية من الأكسيجين الذائب فى الماء ويمتصها عن طريق  
..

— هذه جريمة انتحار .. أنت تهذى ..

وهزت يلى لساعة واستندت إلى الخزع ..

ولم يحد أمرى خان بدأ من إمساكى وتقييد حركتى حتى  
لا تكب حماقة على حد قوله ..

ومضى الوقت رهيباً ..

وهمست وأنا مقيد بذراعى صديق القويتين .

— إذا مات سوف أسلمك للبوليس .. أنت الذى قتلته ..  
أنت مسئول ..

وسمعت صديق يضحك وينظر فى ساعته هاتفاً :

— ٤٥ دقيقة .. انظر ..

ونظرت إلى البئر ورأيت الراهما يتحرك ببطء صاعداً البئر  
درجة درجة وفى يده الجرة ..

وحينما أخرج رأسه من تحت الماء أخذ نفساً طويلاً عميقاً وناولنى  
الجرة وهو يهمس :

— هذه المياه شافية للأمعاء والكلى .. خذ منها جرعة وافية ..

وكنت أنظر إليه وأتحسسه وأنا غير مصدق .

كيف . كيف .

أخذت يديه أقبلهما ولكنه سحبهما بشدة واكتسى خداه  
بحمرة الخجل ..

— خذ جرعة من هذه المياه ..

— ولكن يا سيدى كيف .. كيف .. كيف فعلت هذا ..

— وهل فعلت شيئاً غريباً ..



وكانت السحب السوداء قد بدأت تتجمع فوق الجبل ثم  
افتحت فجأة كأنها قرب ونزلت سيولا كاسحة .

ورأيت البراهم يرسم الصليب على صدره . ويتمم بآية  
من الإنجيل . ثم يتمم بآية من القرآن . ثم يقرأ آية من المرموز  
الخامس . ثم يقرأ من كتاب الدامابدا ( كتاب الطريق لبوذا ) ..  
ثم يهمس وهو ينظر إلى السيول التي تجرف الأكواخ الصغيرة  
في طريقها ..

— هناك أطفال يموتون الآن .. علينا أن ننزل لمساعد من هم  
في حاجة إليهم ..

وزلنا هابطين الجبل .. وبدأ السيل ينحف تدريجياً حتى توقف  
تماماً حينما بلغنا أقدام الجبل ..  
وسطعت الشمس براقه حامية ..

ونظرت في دهشة إلى الرجل العجيب الذي يحفظ جميع الكتب  
السمائية .. ويرتل آيات من جميع الأديان، ويحيط بالرياضة والعلوم  
والفلسفة واللغات ..

أى رجل هو .. ؟ !

وعلى أى دين ؟ ! !

ومن أى ملة ؟ !

— لقد حطمت جميع القوانين ..

— أنا لم أحطم شيئاً .. لا أحد يستطيع أن يحطم قانوناً .  
إن ما فعلته كان وفقاً للقانون ..

— أى قانون .

— القانون الأعلى .. حينما تصعد العصاراة في النخلة إلى أعلى ض  
قانون الجاذبية لعشرات الأقدام في الهواء .. هل يقول أحد أ  
النخلة حطمت قانون الجاذبية .. أم هم يقولون في علم النبات :  
صعدت وفقاً لقانون أعلى من قانون الجاذبية ..

— إنهم يقولون إنها صعدت وفقاً لقانون الحياة ..

— وهو أعلى من قانون الجاذبية .. وقانون العقل أعلى من الاثنين  
وقانون الإرادة أعلى من الكل . لقد قت بإثبات تفاضل القوانين  
بتجربة متواضعة أمامك .. هل قرأت عن تفاضل القوانين  
في الرياضة ..

— لا .. لم أقرأ ..

— إنك لم تدرس بما فيه الكفاية .. وهذا كل ما في الأمر ..  
خذ جرعة طيبة من هذه المياه ..

وناولني الجرة . فأخذتها وأنا غير مصدق .. ولمستها وكأني  
ألمس شبحاً .. وشربت حتى ارتويت ..

وعند أقدام الجبل صادفنا الدليل كاكوما مع بعض من أعضاء الوفود في جولة سياحية . . . وحينما رآنى في صحبة البراهما وقف يبرطم ويشير نحونا في سخرية . . .

ورأيت البراهما يضحك ويهمس مشيراً ناحية الرجل . . .

— انظر إلى الظل الذى يلقيه الرجل على الأرض . . .

ونظرت ناحية كاكوما فرأيت يلقى على الأرض ظل حمار . . . بأذنين طويلتين مشرعتين ورأس مستطبة وخشم غليظ . . .

ولم أملك نفسى من الضحك عالياً . . .

والثفت نحوى أمرى خان وضغط على ذراعى هامساً :

— يكفبك ما رأيت لرحلة اليوم . . . لقد اقترب وقت الغذاء ولا أظن أنك ستأكل من طعام البراهما . . .

— ولم لا . . .

فضحك أمرى خان . . .

— إن البراهما لا يأكل شيئاً . . . إنه يتغذى بنفس الطريقة التى يتغذى بها تحت الماء .

— ياسائر . . .

— أظن أنك لم ترتفع بعد إلى مستوى هذا اللون من الغذاء .

— إلى هـ . وأعترف أنى مارلت حيواناً وأقل من الحيوان  
ة الغذاء

— إذن تعرب معى هـ . . .

وهكذا ابتدأنا من البراهما وانصرفنا بعد أن ضم كل منا كفيه أعلى في تحية وإجلال واحترام وأخذنى أمرى خان تحت ذارعه  
« إنه سيطلعمنى « التندورى » . . .

— وما هو التندورى . . .

— سوف تعرف ما هو التندورى حينما نصل إلى « موى محل  
مطعم شعبى فى الهند .

لكنى كنت مارلت افكر فى الرجل الذى أغلق عينيه تحت  
نام . . . الرجل الذى يخطط جميع الكتب السماوية ويؤمن  
الأديان ويصلى بجميع اللغات . . . ويتمدد على الأرض إذا  
تم يطير .

« لا يكون كما هذا حرم . . .

الا تكون كل هذه الرحلة إلى الهند أضغاث أحلام .

ولكنى سوف آكل التندورى . . .

وفى مطعم « موى محل » قدموا لنا « التندورى » وهى دجاجة  
لينة مشوية ومصبوغة بدون احمر فاقع . . . ومعها طبق من الكارى . . .

وطبق آخر اسمه التابوكا ( طعام يشبه البطاطا ) مع أطباق عديدة  
الموز المجفف والمانجو والمخلل والمملح . . وأكواب من عصير  
الممزوج بالشطة . . وسلطات من كل لون .

وكانت أكلة حامية ملتبة لاسعة لكثرة ما فيها من بها  
حريرة . .

ولكن ما بعقلي من أسئلة محيرة كانت تسعني أكثر .  
سألني صديقي وهو يأكل الدجاجة بيديه .

— هل أحببت الأكلة الهندية . .

— لا أفهم لماذا تضعون الشطة في كل طبق وفي كل  
من الطعام .

لو لم نفعل هذا لنامت أمعاؤنا من شدة الكسل و  
إن الشطة عندما قانون بيولوجي . . أعتقد أنه القانون الوحيد  
لم يستطع صديقنا البراهما أن يعلو عليه . .

— بيني وبينك ، أنا أحياناً لا أصدق ما يأتي به ذلك البرا  
من أفعال . . هذا غير معقول .

— هو الغير معقول . .

كل ما شاهدته اليوم والأمس غير معقول . . إنه ساحر مشعوذ  
في أحياناً أصدق كما كوما . . تصور إنه يجعل كما كوما يلتقي على الأرض  
ظلاً يشبه ظل الحمار . .

— لأن كما كوما بالفعل حمار . . هل تعتقد في تناسخ الأرواح . .  
أو أعتقد أن كما كوما قد حلت فيه روح حمار . .

— ولكن رأى كما كوما يريخني . . الاعتقاد بأن البراهما ساحر  
مشعوذ دجال هو رأى مريح جداً . . أما الإيمان بالخوارق التي يأتي  
بها فإنه يؤدي إلى الخبال والجنون . . نعم سوف يصيبني هذا  
الرجل بالخلبال من طول التفكير فيما يفعله . . أؤكد لك أن كما كوما  
على حق . .

— أنت تريد أن تستريح وحسب . . لا تريد أن تواجه  
حقيقة بأي ثمن . .

إن الثمن لن يكون أقل من الجنون . هذا الرجل يثير  
مشكلة أكبر من عقلي . . أكبر من قدرتي .

— الظاهر أن الشطة كانت أكثر من اللازم . . وأنها تسربت  
إلى دماغك . . وإلى مخك . . أنت في حاجة إلى مطف . .

وصفق أمرى خان للجرسون وكلمه بالهندية . . فغاب  
الجرسون لحظة وعاد يحمل صينية عليها عدة أطباق صغيرة بها  
ينسون وحبان ومستكة وكمون وسكر نبات . .

وأشار على أمرى خان بأن أمضغ من هذه الأصناف ما أستطيع  
قائلاً إنها مهدئة ملطفة ومهضمة . .

— المهم ليس ما أستطيع ولكن ما أستطيع . .

ولم ينتظر أمرى خان أن أختار ما أستطيع وما أستطيع وإنما  
حنانه من كل صنف وعبأ لى جيوبى . . قائلًا لى سوف أحسن  
إلى هذه العطاراة الشافية . . وأنى لا أعرف الهند ولا أعرف ما  
يفعله الطعام الهندى فى البطون .

وغادرنا المطعم . .

ولاحظت أن الهنود يقفون على محطات الأتوبيسات فى طوائف  
منظمة وكانت هذه الظاهرة فريدة فى نوعها وغير مفهومة بالنسبة  
إلى كثرة مظاهر الفوضى الأخرى فى الحياة اليومية فى الهند . .

وركبنا أول تاكسى . .

وانطلق بنا مسرعاً إلى الفندق يخرق الشوارع الضيقة والأن  
التي يتكدس فيها الزحام فى مهارة غير عادية . .

وقال لى أمرى خان إن عدد سكان الهند أكثر من أربعين  
مليون والسبب فى هذه الكثرة أن أغلب السكان ينامون مع غروب  
الشمس ولا يجدون إلا لعبة واحدة يلعبونها وهى لعبة النسل . . وأن  
الهندى الفقير لا يفهم ما معنى تحديد النسل فليس عنده شىء آخر  
يفعله . . وهو يعتمد على السيول والمجاعات والأوبئة فى تأدية مهمة  
تحديد النسل بحماس ونشاط أكثر منه .

وسكت أمرى خان فجأة وغمزنى قائلًا وهو يشير امامه إلى  
بقرة فى الطريق . .

بسر مدد سمعنا سائق تاكسى حين يقترب من بقرة . .

و بعد سائق تاكسى كان شيئاً عربياً . . ففقدنا  
بوقعها وفتح بابا ونزل ليقف فى حلال وبوقير تنظر  
بقرة وهو لم يجمعه لى شىء . .

وهل واقعاً فى خشية وتبذل حتى مرت البقرة متهادية فى دلال  
بعباب عن صريق . ثم عاد إلى كرسيه أمام عجلة القيادة  
ببعب حبه .

وهنس أمرى خان

بقرة عند كمن مقدس يلقى . .



— حسناً .. اعتبر نفسك واحداً من أهل الله .

— ومن أصحاب السوابق الذي لم يقبض عليهم بعد .. اليس كذلك ..

— إن اكتشاف عشرة أطباء دجالين لا يعنى أن المهنة كلها دجل .

— هل تريد أن تقول لي أنك تعتقد في خرافة الوسطاء أيضاً ..  
— ولم لا .. إن هناك ظواهر في حاجة إلى تفسير .. والوسطاء هي تفسيرها الوحيد .. فلماذا لا يكون تفسيراً مقبولاً .. هل تستطيع أن تفسر لي اتصالنا الفكري منذ لحظات .

— الصدفة .. مجرد الصدفة .

— هذا يعنى أنك تعتبر ما حدث دالاً على لا شيء .. مجرد صدفة ..

— نعم .

— ولكن من الملاحظ ، هذه الصدفة تتكرر كثيراً في حياتنا ، بدرجة ينفيها قانون الصدفة نفسه .. وأنت تعرف أن علم النفس اعترف بهذه الظاهرة وأدخلها في عدد ظواهره العلمية تحت اسم « التيلياثير » ..

— إن علم النفس أصبح يدرج أشياء كثيرة هذه الأيام

كنت أذرع غرفتي في الفندق ذهاباً ورجوعاً ، وقد استغرقت في تفكير شديد والساعة تدق نصف الليل حينما طرق الباب ودخل أمرى خان سائلاً في قلق :

— هل أرسلت في طلي ؟

وشعرت بالدهشة ، فقد كنت أفكر فيه طول الوقت .. وكنت على وشك أن أرسل في طلبه .

وصارحته بالحقيقة ، فانتسم :

— هذا معناه أن هناك اتصال أفكار بيننا .. لقد أصبحت وسيطاً روحياً بعد خمسة أيام من قدومك إلى الهند .. هذه تقدم تحسد عليه .

وضحكت ..

— وسيطاً روحياً .. هل تعتقد في هذا الكلام الفارغ .. إن هؤلاء الوسطاء يسمونهم في بلادنا المشايخ وأهل الله .. ونصفهم دجالون وأصحاب سوابق .

— هل تسمح لي بأن أدخن غليونى .

وأخرج غليوناً فاخراً أشعله .

— إن ميزة الغليون أن دخانه يطرد البعوض .. نستطيع أن  
نفتح النافذة الآن ، فلا خوف من دخول البعوض فى مثل هذ  
الظلام .. ومثل هذه المدخنة .. مشتعلة .

وفتح النافذة ، وتدفق نور القمر .

كان القمر بدرأ ..

واتكأ أمرى خان على النافذة ومضى يدخن فى شراة .. ثم  
قال بعد فترة صمت :

— منذ خمس سنوات كنت فى إنجلترا مع البراهما واجيسوارا ..

واقترح على البراهما أن نحضر جلسة روحية للوسيلة مسز ماكنزى  
فى جمعية مارلبورن بلندن ، فوافقت من باب الفضول ، فأنا مثلك  
لا أؤمن بشيء خارج دائرة حواسى المباشرة ..

وبدأت الجلسة بإطفاء الأنوار وتلاوة بعض الأناشيد الدينية  
وعزف الأرغن ، ثم سمعت صوت مسز ماكنزى واضحاً .. إلى  
السيد أمرى خان الذى يجلس فى الصف الأول .. هناك رسالة من  
والدك الميت .. ووقفت مندهشاً بينما كانت السيدة تكتب ما تحب  
عليها الروح بالكتابة التلقائية .

— ٤٠ —

.. عدم خشيته الأنوار .. وطالعت الرسالة لاحظت أنها مكتوبة  
بالسنسكريتية .. وأن إمضاء والدى عليها واضح ؟ لاشك  
فيه .. وكان مضمون الرسالة باختصار أنه سعيد فى العالم الذى يعيش  
فيه وأنه يصلى من أجلنا ..

.. سمعنا طعنت الأنوار من جديد .. قلت الوسيطة .. إن  
سيد الوالد ما زالت حاضرة وهى تسألك إن كنت تريد  
فقت لها : أريد أن تصف لى بالتفصيل العالم الذى تعيش  
فيه .. بعد فترة صمت .. بدأت روح والدى تلقى وصفاً تفصيلياً  
.. لآخر ..

.. حدثت لى مكافئ .

.. وبكى فى فضول وقد أثارتنى قصة :

.. حدثت لى مكافئ .. فى المشوق حدثت لى معروفة  
..

.. وعريب .. وصف روح كان أقرب لوصف عيسى .

.. هذا ريب .. فصول ..

.. وبكى لروح أن يعلم الآخر ليس له موقع جعر فى ودى  
.. وبكى .. وهو ليس مكافئاً ... ودى هو حالة تخلف فيه  
..



والروح في الآخرة تحتفظ بداكرتها كاملة ، وهي تستطيع  
تستعيد كل تفاصيل حياتها الأرضية ، بما فيها من خطايا وذنوب  
وتعاني الدم والألم حتى تظهر ..

وبعض الأرواح تستطيع أن تتخاطب من خلال الأحلام بأقاربهم  
من لأرضيين .

وبعض الأرواح الشريرة تلمس الأجسام الأرضية وتصيبها باللوع  
والجنون والأمراض المستعصية ..

وبعض الأرواح الخيرة تلهم أحبائها الخير والمحبة والتوفيق  
والبركة ..

وفي العالم الآخر حيوانات مفترسة ، ولكنها لا تفترس ، لأنها  
فقدت الرغبة في الطعام . فترى الأسد نائماً في حضن الحمل  
وهذه فراشات وحشرات وحيوانات مستأنسة من كل نوع وزهور  
جميلة من كل لون ..

وليس في الآخرة دول ولا سياسات ولا حكام .. لأن الأرواح  
يحكمها قانون التوافق الطبيعي ، فكل روح في مرتبتها المتفقة مع  
ما بلغته من نضج وحكمة وخير ..

إن الحكمة والمحبة تهبها الذبذبة العالية التي تساعد على

تجدي إلى المرتبة الأرفع التي تناسبها .. بينما لا تستطيع روح منحطة  
تدعم هذه الذروة ، فتظل في مهاويها السفلية ..

قانون التوافق يعمل في إحقاق العدالة بدون نظم سياسية  
وبدون حكم .. فكل واحد يأخذ مكانه الصحيح ولا يستطيع  
أن يتجاوزَه

ولا يوجد حروب ، لأن صراع الخير والشر يتخذ مظهراً  
عقياً ضمائرياً ..

ولا يوجد إكراه ولا إجبار ، وإنما حرية مطلقة .

والحرية هناك في التوافق مع القانون السماوي ..

ولا كهولة ولا شيخوخة في الآخرة ، فالأرواح تعود إلى شبابها  
وتكويها الناضر .

ولأطفال ينمون بسرعة إلى طور الشباب ..

وسكت أمرى خان لحظة ، ومضى يدخن ، بينما سألت أنا في  
شوة ..

— ومذا عن الجنة والجحيم ..

الجحيم في الآخرة ليس دائماً الحريق ولا النار ، وإنما هو  
مذاب له صور شتى !



لحظة الانفصال بالموت ، تكون لحظة ألمية طويلة ، ~~بالنسبة~~  
للأرواح الشريرة . . . وبعد الموت تظل الروح الشريرة ~~تعاذ~~  
عادتها الأرضية . فيخيل لها أنها ما زالت لها جسد . وبالتالي ~~تسهر~~  
بالآلام الجسدية التي كانت تعانيها على الأرض . . وتشعر بموجع  
وبالتعب وبالأعراض وبالأوجاع البدنية . . وقد تستمر هذه الفترة  
سنوات وقرون حتى تدرك خلاصها . .

وتظل ذنوب الروح الشريرة شاخصة أمامها طول الوقت . .  
فالقاتل يظل يرى صور ضحاياه ويسمع أنينهم . .

ولا يكون عذاب الروح بصدور حكم محكمة بالإدانة ، ~~ولا~~  
عذب تنقئ ، نتيجة لنقصها . مثل التهمة . نتيجة الإفراط ~~في~~  
نتيجة لكس

لعذاب جزء من قانون التوافق السماوي . . لا إكراه  
ولا جبر . لكل بحسب عمله

وبعض لأرواح الشريرة تعيش في عزلة وظلمة مع ~~الأرواح~~  
لشريرة أمثالها . . حياة كلها أحقاد وأصغان . .

ويكون عذاب الأرواح المنافقة بافتضاحها ، وعذاب الأرواح  
المتكبرة بهوانها ، أمام من كانت تحقرهم ، وعذاب الأرواح ~~الأنية~~  
نحياتها في وحدة . حيث لا تجد أحداً يعنى بأمرها أو يفكر فيها

وبعض ~~من~~ ~~ال~~ ~~أرواح~~ ~~الشريرة~~ تكون مكشوفة لأصحابها في الآخرة . وهذا  
من ~~ألم~~ ~~ال~~ ~~أرواح~~ ~~الشريرة~~ . فهي تعيش في مكشوفة  
من ~~ألم~~ ~~ال~~ ~~أرواح~~ ~~الشريرة~~ .

وبعض لأرواح الشريرة تعود بغير انقطاع إلى حيث دفنت  
حيث تخلق حول القبر وتشعر بأجسامها تتحلل والدود يسحر  
وقد ~~تض~~ ~~تعي~~ ~~في~~ هذا الارتباط الوهمي سنوات .

وتظل الأرواح التي انتحرت تعاني من لحظة انتحارها . . وقد  
وتروح تنتحرت بإلقاء نفسها من برج . . أنها ظلت تعيش في  
سوء شعور محيف بأنها تهوى من حلق . . وأنها على وشك الارتطام  
باصبحر . . وهذا الشعور الفظيع يلزمها أكثر من مائة  
سنة

وبعض لأرواح الشريرة يقضى عليها بالعودة إلى لعبة الميلاد .  
تندسج من حديد في اللحم والدم ، وتعود إلى الحياة الأرضية لتكفر  
عز

وبعض لأرواح المخطئة تشعر بالنور الباهر ، كأسياف من حديد  
تخرق وتغشى بصره . .

ولكن عذب الأرواح دائماً ، عذاب موقوت محدود له آخر . .  
وهو ~~يهي~~ ~~في~~ العودة لحظة بقصة الروح وندمها . . واكتشفها

لجهالتها وترديها .. في تلك اللحظة ، تخف أثقالها ، وترتفع ذبذبتها ..  
فتخلق إلى عالم أجمل وأكمل .. ولذا كان عذاب الآخرة لوناً من  
التطور والارتقاء والتعلم ، لا ضرباً من التنكيل والانتقام .. وهو  
عذاب لفترة وليس للأبد ..

أما الجنة ، فهي حياة الروح ، في محبة وعمل وارتقاء دائم ..  
آفاق لا نهائية ، حيث تبلغ الروح الأعظم وتندمج فيه ..

وسكت أمرى خان ، ومضى يدخن ويتطلع إلى القمر ..  
قلت في استغراب ..

— هذه الصورة عن العالم الآخر تشبه فكرة أفلاطون  
عالم المثل .. إنها أشبه بالخيال الأرضي منها بالخيال الروحي ..  
أنا أعتقد أن ما قاله الوسيطة مسرماً كنزى هي تصوراتها الشخصية  
وقراءاتها الشخصية في الفلسفة والتصوف .. وأن ما رويته  
العالم الآخر ، هو تخميناتها ، ولا دخل للأرواح في الأمر ..

— من الجائز .. إنما أحببت أن أطلعك على ما سمعت .. ولا أنكر  
أني فكرت مثلك ساعتها .. برغم الرسالة المكتوبة بالسفسطائية  
وعليه توقيع والدي ..

— إن الوسطاء المحترفين في العادة يتقنون اللغات القديمة ..  
تجارتهم الراجعة .. وهم يعرفون كيف يروجونها ..

— لقد كانت هذه نظريتي .. ولكنني عدت فقلت لنفسي ..  
ولماذا لا يكون أفلاطون في نظريته عن المثل .. وسيطاً ملهماً أكثر  
منه فيلسوف .. ألا يمكن أن نعتبر الشعر والفلسفة والموسيقى إلهامات  
تصلنا في لحظات الصفاء .. شأنها شأن أية وساطة .. ويكون أفلاطون  
في جمهوريته في هذه الحالة يروي حقيقة أكثر مما يروي فرضاً  
فلسفياً ..

— هذا غاية في الشطح .. لم يبق إلا أن تصنع لي أجنحة وأنا  
واقف بحوارك ..

— صدقتي أن لنا أجنحة خفية ، هي عقولنا وأرواحنا ..

— سوف تتعب نفسك كثيراً يا صديقي .. أما أنا فقد أرحت  
نفسي من كل هذه الفروض .. أنا بشر من لحم ودم وحواس ..  
لا شيء حقيقي سوى الواقع اليومي الذي أعيشه ..

— وماذا تقول فيما يفعله البراهمة .. أليس واقعاً لمستهم  
.. سلك ..

— لقد اعتبرت ما رأيت ، شعوزة واحتيالاً ، وخداع حواس ،  
وأرحت نفسي ..

— حينما تبدأ بتكذيب حواسك .. فقد بدأت قصة تعبك ،  
صدقني ..

لا راحة في هذا الطريق الذي سلكته أبداً ..

— إنى أفضل أن أفكر على طريقة كا كوما .

— لا تنس أن جميع العلوم اليقينية التي تعتز بها قد بدأت على شكل خرافات وأساطير . ولو تتبع منشأ الطب وعلم النفس والطبيعة والكيمياء والذرة ، لعجبت في أنها كلها بدأت بتخمينات وشطحات وأحاجي ، مثل هذه الأحاجي التي يقدمها علم الأرواح تماماً ..

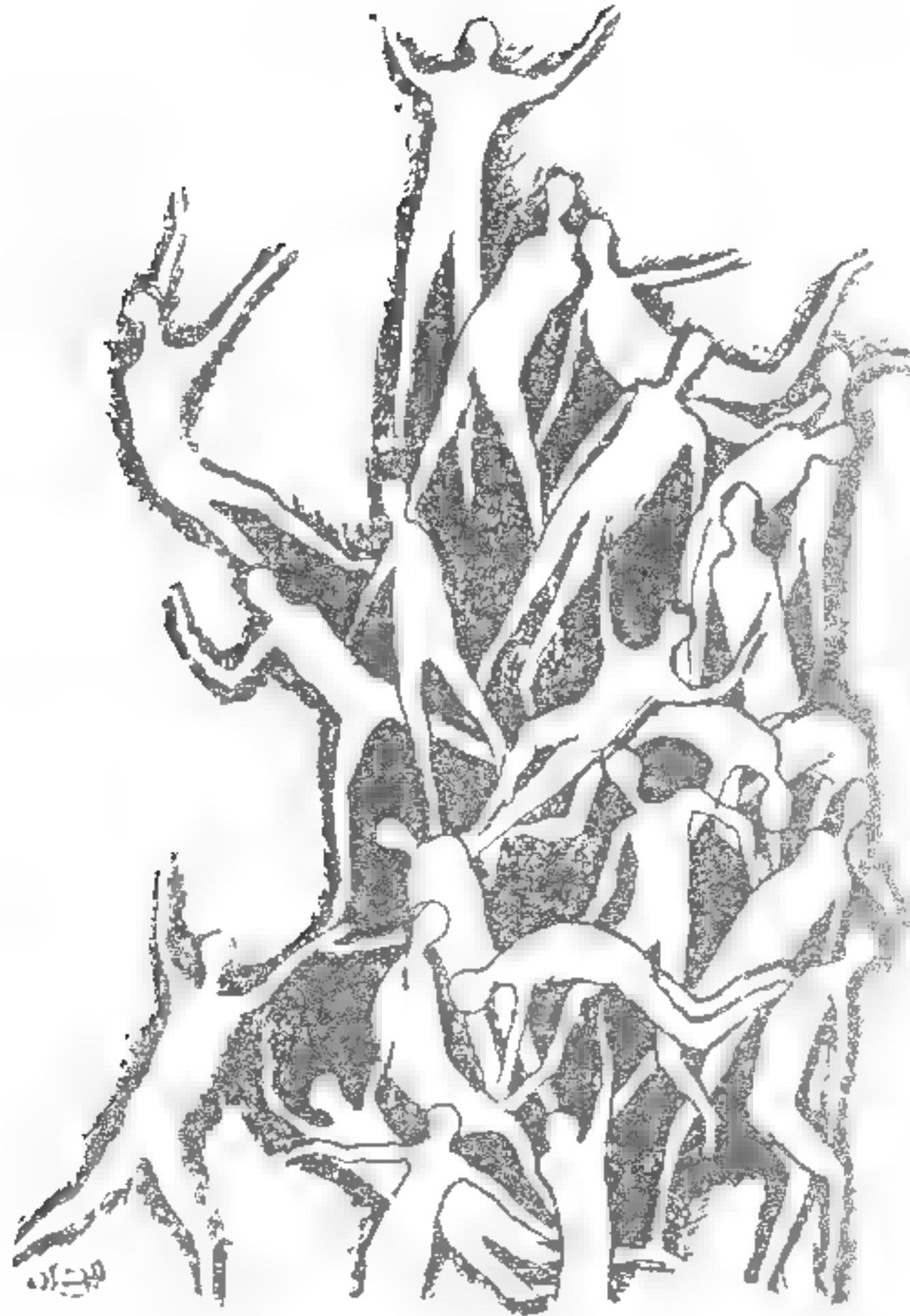
— حسناً .. سوف أنتظر حتى يصبح علم الأرواح علماً يقينياً ، بدلاً من أن أتعب نفسي في الأحاجي .

— ولماذا لا تعمل شيئاً بدلاً من الانتظار .. فقد يستصعب - إذ فكرت سوياً - أن نصل إلى شيء . ونحن نحصر طريق الصلاء لدى نسير فيه ..

هل نسيت أن المجال المغنطيسي للأرض ظل مجهولاً حتى اكتشف بواسطة الحجر المغنطيسي صدفة .. وبالمثل كان الوسطاء هم البوصلة التي كشفت المجال الروحي للإنسان .. هكذا .. بالصدفة أيضاً .. صدفة الإلهام ..

— إنى رجز علم . أعطني مقدمات معقولة أولاً . وإن أسير معك إلى آخر الدنيا .

يما أن تبدأ رحلتى بلا معقود .. فإن نهاية سوف تكون معروفة سلفاً .. إنها مستشفى المجذوب ..



- فكر قليلاً . . إن كل ما رأيت وسمعت هو المقبول بعينه . . كل ما في الأمر أنك يجب أن تطرح عنك التفكير العادي والمبتذل والمألوف . . وتفكر بعمق . . بعمق طفل ينظر إلى الدنيا من جديد . .

- بعمق طفل . . لقد قتلتها . .

- إننا ما زلنا في طفولة الفكر ، صدقتي . . وهذا النصيح الذي يصوره لنا اليقين . . هو نصيح زائف . . فلا يقين هناك . . أكثر من يقين للترجيح والاحتمال . .

ما زلت أفضل طريقة كما كونا في النظر إلى الأمور . . ليس لدينا وقت للشطح في المجهول . . هناك أمر عاجبة تنتظرنا . . والعالم أفقر وأتعب من أن نصيغ وقتاً في السنوات أخرى من التخمين . .

- أعتقد أن هذا الكلام يضع نهاية واضحة لحديثنا . .

ونظر إلى ساعته مردفاً . .

- لقد أسهرتك أكثر مما ينبغي هذه الليلة . . لقد فات موعد نومك بكثير . . استأذنك . . وأرجو لك نوماً طيباً . .

قال هذا ورفع كفيه مضمومتين في تحية وداع وانصرف . . وبقيت وحدي في الغرفة مع القمر . . والصمت . . والظلام . .

الأمس في حبيبة . . ونسيت في مدينتي رعدة . .  
وسجنت وأحرقى حلقه . . أولاً في نديسكت قهوة . .

في حين هذا شيئاً لا يمكن أن يوصف . .

وبعد . . وهو . . وهو قراءت نعيده في قرأها عن . .

في هذا من كل الأمر . . وحقيقة مثل كل الخدث . .  
في بين في سبيل . . وفندق مثل كل الفندق . . وبعد . .  
في هو عقلي الذي فقد وضوحه و تراه . .

في في فرشي وعيني إلى الدفلة أسدانس بصوء أيعمر . .

في في عيني . . وتسميل في أطري . . وشعرت في موت . .  
في في هرق . . وطوب التمكن . . وأن رأسي في نقدة من . .  
في في تنصيح . . وتنصيح . . وأن لا أستطيع رفعها . .  
في في أصر في تيس وتنحش . . فلا أستطيع حر كاً . .  
في في بحرد وعي سجين في حركته جيس . .

في في حيس غير معمول . . بأن نأفذه في نظر . .  
في في جهة عربية من الحجرة . . بينها نافذة عرفتني عنى . .  
في في جهة شرقية . . إدار في عروقة أخرى غير . .  
في في ذعر في الحائط . . كانت هذك صورة كبيرة . .

لطاغور .. إنها ليست غرفتي بالفعل .. فلم تكن بغرفتي صورة  
لطاغور .. لقد كانت هناك صورة لطاغور ، نفس الصورة بالإطار  
المذهب ، ولكن في غرفة أمرى خان .. وكان هناك تمثال نصفي  
لغاندى .. ها هو بالفعل ..

ونغممت في دعر .. لقد انتقلت إلى غرفة أمرى خان ..  
كيف .. ومتى ؟

وصرخت من الدعر ..

• وخرجت صرختي مبحوحة خافتة مرعبة ..

فتحت عيني فوجدت أمرى خان واقفاً عند رأسي ، وفي يده  
منديل به عطور هندية حادة ، يضعه عند أنفي ميتسماً .. هسنت  
في ضعف ..

- أين أنا ..

- أنت في غرفتك في فندق أشوكا ، وفي أمان ، بين أصدقائك  
وأحبائك ..

وتضعضت حواسي ، ورأيت نفسي أبكي فجأة .. أبكي في  
نعاسة كطفل يتيم ضائع حائر بلا أهل ..

- أنت تبكي .. هذا غير معقول ..

- لقد كدت أفقد عقلي في هذه اللحظات القليلة التي مضت ..  
كاد يودى بي كابوس فظيع .. خيل إلى أني انتقلت فجأة ، وأنى  
في مكان غير المكان .. كنت أرى هنا تمثالا ، نفس التمثال الذي  
على مكتبك .. وعلى الحائط صورة كبيرة لطاغور ، في إطار مذهب ،  
نفس الصورة والإطار التي في غرفتك .. هكذا في لحظة .. وكأني



هواء . وكأني تخللت الحدران وانتقلت إليك دون أن أبرد  
مكاني ... كان شيئاً مخيفاً . .

. نحن في عصر تنتقل فيه كل الأشياء بسهولة . . صور  
تنتقل بالتليفزيون . . وأصواتنا بالراديو . . ورسائلنا بالبرق

لم يعد عجباً أن تنتقل أرواحنا . .

لم أعد أعجب لأي شيء أراه في بلادكم . . لو قلت لي  
روحي خرجت منذ لحظات ، لصدقتك ، فقد خيل إلي ساعتها أن  
روحي خرجت مني . .

- لقد كنت مغفياً عبيك تماماً . .

- لعلني مت نصف موت . .

ورحت أتحسس نفسي غير مصدق . .

- تصور لقد خيل لي أنني هواء . . وأرق من الهواء . .

- نحن هواء . . وأرق من الهواء . . ألا تنفذ فينا الإشعاعات ،  
كأنها تنفذ في مادة خلاء . . إن بصر كليل جداً . . إننا لانرى  
أنفسنا على حقيقتها . .

- إن محبوبات جديرة بالإشفاق . مخلوقات عمية يجهلون  
صمائم . .

وبعد كنت أشعر ساعتها أنني أصبحت ذلك المخلوق الجدير  
بمناقض فعلاً . كنت أشعر أنني في حاجة إلى يد تأخذ بي إلى  
... وأني أتقدم رجعاً منذ آلاف السنين . .  
ي تعبت

- لقد تعبت . تعبت . . وأريد أن أعود إلى بلدي . . لن  
يكن لي نيك بعد الآن .

... مصرعة . . إنك لم تكن تقصني بيننا أيماً . . إنك لم  
تزل شيئاً من أحد . .

... لقد رأيت كل هذا . . لقد رأيت منها ميكيمي وريادة .  
... بين هذه الأيام القليلة . . بدلتني . . جعلت مني إنساناً غير  
... كتمشت أنني لم أكن أعيش . . لم أكن أفهم شيئاً . .  
... بلدي . .

... عطشاً إلى اليد هدية التي تأخذ بيدي .

... أنني أريد أن ألتقي بالبرهم . . أريد أن أخرج إليه .  
... المصحح والبركة ، وأتعلم منه شيئاً جديراً بالعلم ، قبل أن  
أعود إلى بلدي . .

- لمسكت بيده وتطلعت إليه في قلق . .

- نحن نأخذ البراهمة في كهفه في هذه الساعة المبكرة . .

قال بإشفاق ، وهو ينظر إلى عيني اللهفاتين :

- نعم إنها ساعة صلواته في العادة ..

- خذني إليه .. إني في أشد الحاجة إلى كلماته ..

\* \* \*

وفي كهف البراهما ، جلست عند قدمي الرجل الصالح ..

وكانت عيناى تدمعان انفعالا ..

قلت له : إني أريد أن أتعلم .. أريد أن أهتم .. أريد منه أن يأخذ ييىدى ويبدلى على طريق النجاة ، ويقرأ عني من آيات كتابه .

قل الرجل الصالح في نبرات جيلة ..

- اعم أن روح الله تملأ الوجود .. وأن كل مافي العدم من فن وفكر وعلم وحمل ، هي إذاعات من هذه الروح الكية الحقة ... وما روحك ، لا قبس من هذه الروح الكرى ، تتلقى منها . أنت أحد آحاد الأحاد الأكبر .

اعلم أن هذه الروح الكبرى ليست بشراً ، ولكنها الذات العليا . والقانون الأسمى ، لكل الوجود .. اعلم أن الحياة لا تصح بغير صلاة ..

وإن صلاتك لا تكون نافعة ، إلا حينما تنسى أنك تصلى ، وتتوجه بكليتك إلى روح الوجود في صرخة استنجد واستغاثة ودهشة وعجاب ، وحب وابتهاال مأخوذ .. فالصلاة ليست كلمة تتعوه بها . وإنما هي شعور بالقداسة والافتتان والإجلال والحب وعبادة ، في المقام الإلهى الأرفع ، وإدراك بأننا قطرة من النبع المسمى .. لا مهيئ ، نصدر عنه ونعود إليه ..

عبد إلهك . إلهاً موضوعياً . تتمثل فيه وتصدر عنه جميع اقويز الطبيعية الحكيمة ، التي يكتشفها العلم ببطء ومشقة . وحاول أن تعيش في توافق مع نواميسه الحكيمة ، فهذه هي حريتك .

وتذكر أن الفضلاء من جميع الأديان ، هم في الحقيقة على دين واحد .

تذكر أنك تباعد عن روح الله ، كلما تقربت إليه بالطقوس يية ، والكهانات والمراسيم ، ولكلمات الخالية من الشعور .. الدين الحقيقي هو أن تعبر عن حبك للروح الأعظم ، بحبك لأصده ..

وحينما تنسى ذاتك في خدمة الآخرين ، سوف تنمو ذاتك وتتعاظم في التركيب والقوة ..

بالعمل والمحبة وخدمة الآخرين ، تعبد إلهك ، وتشعر بجماله ..

كما أنك لا تستطيع أن تكون سعيداً ، وأنت في أسيرة هغية ،  
فكذلك لا يمكن أن تكون سعيداً ، وأنت في مجتمع شقى وعالم شقى ..

أنت مسئول لما يحدث لمواطن لك في آخر الدنيا .. هذا هو  
الدين .. كل ما تقوله لك أنايتك شر ، لأنها تجعلك في عزلة عن  
الآخرين ، وتحرم روحك من غذائها الطبيعي ، بانصالها بالحياة في  
جميع مجالاتها ..  
أنايتك تفقرك وتجذب روحك ..

تذكر أن السعادة ليست حظاً ، ولا بحثاً ، وإنما هي قسوة ..

أبواب السعادة لا تفتح إلا من الداخل . من داخل نفسك ..  
السعادة تبحثك من الطريقة التي تنظر بها إلى الدنيا ، ومن الطريقة التي  
تسلك بها سبيلك .

موقفك المشع بالحب والتفاؤل يحول عذابك إلى كفاح لنيل .  
ويحول محاربتك للشر ، إلى بطولة ونبل ..

إحساسك بالجمال يجعل الطبيعة تنبض من حولك بالموسيقى  
والنعم ..

تفتحك للمعرفة يجعل رحلتك الشاقة ، نزهة مشوقة مذهلة ..  
تواضعك يجعل الفشل لا ينال منك ..

تفانيك في عملك ، يجنبك ملل الفراغ وقنوطه وخبره . ويمنح

تبدو معرفه . وييسر لك مباح لاكتشاف وشوق لمصر .

دراسة من حق . لا يهمل قصصهم . لك بين الحق هو  
منهم

بعضهم يكون غير مدرك من مصر حقيقي ، وإنما يرى رتعد .  
وهم كيهوت

عصر . في حاجة إلى ديانة عصرية إنسانية مصفاه من أدران  
الماضي . متمتحة للحديد من كل علم ومعرفة . خالية من التعصب  
عصبية . علمية . واحدة . . . فله وحدونوا ميسه واحدة .

سكن برحل صالح وأعرف في ثمنه

فت له سائلا في خشوع .

أريد أن أفهم ما الحياة . وما لعقل . . . ومن ش . . . وهل  
نحي . . . يملك ويتكلم

ف . . . تسمية إشفق

كأن الساعة هي في تمرر الزمن انقست إن محك هو  
يمرر التفكير . ولكن الساعة لا تمرر الزمن . . . ما هي  
بعضهم بتعبير . وكذلك نحت ، ما هو إلا حدم يعبر عن قليل  
من عقلك . . . وما التلازم بين ما يحدث عندك من أمراض .  
. . . من مكر من اضطراب . . . لا تلازم صوري . كالتلازم بين

ولكنه لا يفسر ارتقاءها إلى فصائل . أجمل وأرشق وألطف ..  
فأوجه المنفعة هنا ..

وإذا اعتبرنا أن الفصائل الأجل ، جاءت نتيجة الانتقاء  
الجنسى . فاسؤال يصل مطروحاً .. ما وجه المنفعة في اختيار  
لذكر للأنثى الأحسن .. وأين العامل المادى هنا ..

إن التفسير الأكثر قبولاً ، أن هذه المادة الحيوانية ، كان يرشدها  
عقل . يوجهها ويهدها ويعطيها الشكل والحسم ، مهما بدا في الظاهر  
مكروماً ، ولذا كانت عملية التطور بطيئة غاية البطء .

في التفكير المادى نقص عجز ، لا يفسر لنا حياتنا . وهو  
لا يعطينا إلا عمراً محدوداً شاحباً ، نهايته الموت بلا بعث ، بلا عزاء ،  
بلا أمل ..

لموت . ثم الظلام . ثم لا شيء ..  
نظرة قاتمة تسلب الفرد قدسيته ..

هم يعيبون على الشرق أنه سادر في أديانه وروحانياته ..  
ولكن الأديان ردت للفرد كرامته وقدسته ، واعتبرته حقيقة  
مضيقه باقية ، حينما أعطته روحاً تعلو على الموت وتتحدى الفناء ..  
وهي بهذا أعصته العزاء والأمل ، وجعلت من عذابه كفارة ، ومن  
آلامه فداء ..

مسمار ، وبين ثوب معلق عليه .. إذا اهتز المسمار ، اهتز الثوب ،  
وإذا وقع المسمار على الأرض ، وقع الثوب .. ومع ذلك فالثوب  
شيء والمسمار شيء آخر .. وكذلك عقلك ، يتجاوز حياتك الدماغية ،  
ويبقى بعد فناء الدماغ .. لأنه شيء ، والدماغ شيء آخر ..

قلت في خشوع :

— والحياة .. ما الحياة .. ومن أين .. وإلى أين تنتهى بنا هذه  
الدوامه ..

قال البراهمة مبتسماً :

— كان أهل الغال أيام الإسكندر ، يتأملون النجوم على حساب  
أنها نقوش على السقف ..

وما زلنا إلى الآن نتأمل الحياة ، على أنها ظواهر وهوس ،  
حدودها ما نلمسه منها بالحواس ، لانحاول أن ننفذ إلى باطنها  
وجوهرها ..

أن اعتقادنا بأن الحياة انفجار كونى ، نشأ بالصدفة ، مثل  
اعتقادنا بأن انفجار في مطبعة ، يمكن أن يؤدي بالصدفة إلى أن  
تقراص الحروف على شكل قصيدة لطاغور ، واعتقادنا بأن تطور  
الحياة وارتقاءها كان بإرشاد الظروف المادية وحدها ، لا يفسر  
تطور الحياة أبداً .. أنه قد يفسر ارتقاءها إلى فصائل أقوى وأقدر ،

ألا تشعر بعبقريّة الكون ونظامه وجماله وعدالته من خلال هذه  
النظرة الدينيّة ..

ألا تشعر بالراحة ، لأن هناك ناموساً عادلاً يشملك ويرفعك ،  
حرّاً مسئولاً باقياً خالداً على الزمان ..

ليس هذا دليل من داخلتك على صدق المبدأ .  
— أهي الروحية مرة أخرى ؟ —

ابتسم البراهما في سماحة قائلاً :

سبحها ما تشاء .. تمكن مادية .. « مادية جديدة » أرق  
والطف وأرحب وأذكى من المادية التي يعكرون بها في الغرب ..  
نحن لا نريد أن نتعارك على أسماء ..

إن روحنا ما هي إلا مادة .. في حانة جديدة لا نعرفها ..

— لقد عقدت لذلك هدنة ، سوف نذكر ذلك على التاريخ ..

لقد صاحلتني على نفسي .

وتمت طرف رده ..

— أنت أحمل ما في الهند ..

— ما أنا إلا تراب الهند .

— سوف يسعدني أن أعود إلى بلدي بنفحة من هذا التراب

المقدس ..

وكان هذا آخر يوم لي في الهند .

وحينما كنت أضع قدمي في الطائرة بعد ذلك بساعات ، عائداً  
إلى بلدي كان أمري خان في وداعي ، وكان يقدم لي منديلاً  
ملفوفاً .

— إنها صرة من الملح هدية من البراهما ..

وأخذت المنديل بيد ضئيلة وأنا أهمس ..

— أشكرك على هذه البركة .. سوف يكون هذا الملح ..

ملح حياتي ونورها ..

وصعدت سلم الطائرة وأنا أضمه إلى صدري .



وفي القاع كنت أرى عبد الرسول يصفر في فرح وهو يدق  
بفأسه على الباب السرى الذى اكتشفه في قاع البئر ، ويزيح السقطة  
الحجرية ، فاتحاً للطريق إلى غرفة الدفن .

وكننت أنزل الدرجات في حذر ، ومعى معاون الآثار يتحدث  
في انفعال عن التحف التى عثر عليها . أساور وعقود وخواتيم من  
الذهب والفضة . مكاحل وأدوات زينة ، من بينها مكشط للأظافر  
لإزالة الزوائد ، من النحاس ، مقبضه مرصع باللازورد . أواني من  
الديوريت والمرمر . لوحات من العاج ، عليها مناظر للحياة الملكية ،  
محمورة حفرأ بارزاً ، تماثيل من الأبنوس . أقمشة ملونة من  
الكتان . حبوب من القمح ما زالت على حالتها ، وجدت محفوظة  
في قوارير . مراوح وعصى وكراسى من الخشب والجلد . آلات  
نفخ موسيقية .

وتقدمنى المعاون داخلا من الباب السرى إلى غرفة الدفن .

وكان أول ما لفت نظرى أن التحف مكمومة في غير نظام حول  
التابوت .

وقال المعاون إنها عثر عليها بهذه الصورة .

وكان التابوت المرمر فارغاً ومغطى ، ولا أثر فيه لأى مومياء  
أو لأى مخلفات تدل على مومياء .

وكانت تنتظرني أخبار مثيرة لحفلة وصولي إلى القاهرة . . .  
وجدت على مكتبي بمصلحة الآثار عدداً من أوامر التكليف  
بالانتقال فوراً إلى منطق الحفائر في سفارة والأهرام وتل العمارنة  
لمعاينة الكشوف الأثرية التى تمت هناك ، ولقراءة البرديات  
الهروغليفية التى عثر عليها ، وكان معنى هذا أن أحزم حقيبتي  
وأسافر في الحال . . فلم يكن هناك من يحل محلى في هذه المهمة .  
كخبير متخصص في اللغة القديمة . .

وفي الخرائب والأنقاض وبين الحطام وبين أكوام الرديم  
حول المصاطب الفرعونية القديمة ، شعرت أنى أعود إلى عالمي . .  
ذلك العالم البائد الذى عاشته عشرين عاماً من عملي مفتشاً  
بالآثار .

وكان العمال يشيرون إلى البئر الأثرية التى اكتشفت . .

بئر محفورة في الصخر ، تنزل عمودية مسافة أربعين متراً .

وكان العمال لا يزالون يكسحون الرمال والحصى من داخلها ،  
ويكشفون عن درجات السلم التى تصل إلى قاعها . .

وكان الأمر محيراً .

ومعنى هذا ان التابوت لشخص عظيم القدر .

معنى هذا أن المومياء سرقت . . .

وإذا كان هذا المتاع هو ما تبقى من المقبرة بعد سرقتها ، فلا بد أنه كان متاعاً فخماً هائلاً . . وهذا يؤكد مرة أخرى أهمية الميت عليه مقداره . .

ولكن إذا كانت المومياء سرقت ، فكيف غفل اللصوص عن هذا المتاع الثمين المكوم بجوارها .

ولماذا كرمت هذه التحف النادرة على هذه الصورة .

ولماذا لم تسرقها اليد التي كومتها . .

ولا حظت أن غرفة الدفن مبطنة بكتل من خشب الأرز . . وهو خشب كان يجلبه الفراعنة ، بإرسال بعثات إلى جبل لبنان . . ومن بين التماثيل التي عثرت عليها في الكومة حول التابوت ، كانت هناك تماثيل صغيرة : لطحان ، وعجانة ، وخباز ، وكاتب ، وجواري وراقصات ، وحاملات جرار ، ووصيفات . .

كنت أمام صاحب قصر ، ربما وزير ، أو أمير ، أو ملك ، فهؤلاء هم الذين كانوا يدفنون بهذه الأبهة ، ومعهم تماثيل لحاشيتهم وخدفيهم وموظفو ضياعهم ، حتى إذا بعثوا بعد الموت ، كما كانت تقول لهم تعاليمهم القديمة ، وجدوا أنفسهم يستأنفون حياتهم الأولى بكمال أبهتها ، بين خدمهم وحشمهم . .

وطبقاً للأساطير الفرعونية يخرج من الجسم بعد الموت روح نورية هي « با » وشبح مادي يماثل الميت في كل شيء هو « كا » . .

وهذا الشبح المادي يعود بعد الموت ليبحث عن صاحبه ، فإذا وجد جثته حافظة لمعالمها وشكلها ، تذكرها وحل فيها فبعثها حية .

وكيف يسرق السارق جثة لاتنفعه بشيء ، ويترك ذهباً بهذه القيمة . . كان هناك تفسير واحد . . أن المومياء كانت مدفونة في مقبرة أخرى اقتحمها اللصوص وأتلفوا الجثة (على عادة اللصوص أيام الفراعنة) وسرقوا ما أمكنهم سرقة من متاع المقبرة . . ثم فطن الكهنة المشرفون إلى أمر السرقة وما حاق بالجثة من تلف ، فنقلوا التابوت الفارغ إلى مقره الجديد وغطوه ، وأخفوا أمر السرقة عن فرعون . وكوموا ما تبقى من متاع حول التابوت ، وتركوا كل شيء في فوضى ، لأنهم كانوا في عجلة من أمرهم ، وفي رعب من أن يكتشف فرعون ما حدث فيعاقبهم عقاباً شديداً على تقصيرهم في حراسة المقابر ( ولم يكن لكهنة المقابر عمل في تلك الأيام سوى حراستها من اللصوص ) .

ولهذا حرص الفراعنة على تحنيط جثثهم لحفظ معالمها حتى تستدل عليها « الكا » ..

و « الكا » تستطيع بالسحر والتعاويذ ، أن تحل في تمثال الميت أو رسمه أو صورته ، إذا لم تجد جثته .. لأن الصورة تذكرها بشبهها ..

ولأنها مادية فهي تحتاج إلى غذاء ، ولهذا يضع الفراعنة واني الطعام حول موتاهم لتتغذى « الكا » .. ويقدم الكهنة القرابين الطارئة كل يوم ، ويقرءون الصلوات لتستطيع « الكا » أن تستمد منها غذاءها ..

وإذا لم تجد « الكا » غذاء ، فإنها تستطيع أن تتغذى بالمسحر ، من رسوم الطعام على الجدران ..

ولهذا جمعت مقابر الفراعنة بين فنون التحنيط والنحت والرسم لأنها الوسائل التي تتعرف بها « الكا » على شكلها وصورتها ، وتعود إلى حياتها الأولى ..

وهم يهتم الفراعنة بالـ « با » النورانية ، إلا من تبع منهم عادة الشمس « رع » ، فحرص على الانتقال بعد الموت إلى السماء ، وهؤلاء بنوا الأهرامات العالية والمراكب الشمسية لمصاحبة رع في رحلته الأزلية عبر السماء .. هؤلاء كان الاندماج في النور الإلهي عن طريق « البا » هدفهم ..

كنت أسترجع في ذهني هذه الأساطير الفرعونية ، وأتفكر في

نفس الوقت كلمات صديق الهندي ، أمرى خان ، عن الروح مادية لطيفة ، التي تنتقل بعد الموت إلى عالم من الذبذبات ، أرق من عاب ، ولكن يشبه في كل شيء ، فيه فيلات وقصور ومستشفيات ومدارس .. وفيه فاكهة وزهور وحيوانات .. وفيه موسيقى وفن وأدب ، وفيه عمل وحب وخير وشر ..

ما الفرق بين هذا العالم ، عالم الآخرة ، الذي تصوره الهنود ، « وانك » الروح المادية .. التي اعتقد فيها الفرعوني ..

وهي مثل روح صاحبنا ، تستطيع عند اللزوم أن تتغذى على الصور والرسوم ..

كان كلام أمرى خان يبدو لي مشابهاً للأساطير الفرعونية ، كما هو مشبه لفكرة المثل الأفلاطونية ..

ولو أنني صدقته ، لوجب على أن أصدق الفراعنة ، ولوجب على أن أغرق في عالم الأساطير والخرافات إلى أذني ..

وكنيت ما زلت أذكر العالم المسحور الذي عشت فيه مع البراهما ، فتعاودني الرجفة ، وتتخلل رائحة التابوت ، والمكاحل والعصور البائدة ، حواسي .. فتضاعف من تلك الرجفة ..

وترتفع كلمات معاون الآثار مخيفة بربرية ..

دست روه . معها بالنسبة لى : شهر عدة ليال في فض الظلام  
والرموز .

ولففتها في حرم وأودعتها حقيبتى ..

وكان المعاون يشير إلى حلقات نحاسية في جدران الغرفة ،  
وإلى جبل من الكتان يتدلى من إحدى هذه الحلقات .. ويسأل ..  
ماذا يمكن أن تكون ..

وكنت أكثر منه حيرة . فلم يسبق لى أن رأيت مثل هذه  
الحلقات في مقبرة .. وأشارت إلى حقيبتى قائلاً :

— ربما وجدت الجواب هنا ..

أقصد في البرديات ..

وكانت الغرفة الثانية تؤدي إلى سرداب وضعت به أسلحة من  
كل نوع .. تروس ورماح وخناجر وعصى .. ونهاية السرداب  
صماء مغلقة لا تؤدي إلى شيء ..

وكنت أسأل نفسي طول الوقت ..

من يكون الرجل العظيم صاحب المقبرة .

وهل هو : رجل ، أم امرأة ..

إن الأمشاط والمكاحل ، وسكين قص الأظافر ، وأواني  
مطور ، تشير إلى امرأة .

— تصور هذه الحبات من القمح .. عمرها أربعة آلاف عام .  
وهي ما زالت على حالها .. ربما ضمرت قليلاً .. لكنها ما زالت  
محتفظة بشكلها ، هل تظن أن هذه الحبات ما زالت حية ..

هل تظن أنها يمكن أن تنمو إذا زرعت .

هل يمكن أن يكون كلامه صحيحاً ؟!

هل يمكن أن تنمو هذه الحبوب بعد أربعة آلاف سنة من  
الموت في جب تحت الأرض .. وأمسكت بالحبوب أتفحصها بعيني  
المجردة .. ثم بعدسة .

كانت تبدو ضامرة عجفاء ، لكن محتفظة بشكلها ..

ووضعت بعضاً منها في جيبى .. على سبيل البركة ..

هذه حبوب أكل منها الفراعنة رغيفاً منذ أربعة آلاف سنة .

وغاب المعاون في الحجرة الثانية الملاصقة للحجرة الدفن ، ثم  
عاد يحمل لفافة من البردى ، بسطها أمامي في فضول .. كانت  
مزقة في أماكن .. ولكن الكتابة الهيروغليفية واضحة عليها ..

وقال المعاون إنها ليست البردية الوحيدة التي عثر عليها

فهناك برديات أخرى ..

وقد عثرت بالفعل في الغرفة الثانية على عدة برديات مكتوبة  
باللغة الهيروغليفية . وهي اللغة الهيروغليفية المختزلة ..

والأسلحة والتروس والرماح ، تشير إلى رجل

هل كانت المقبرة لرجل وزوجته ، ، هذا ما تبقى من متاعهم  
بعد أن سرقت . .

كنت أوراق البردى في حقيبتى تعدنى بالكثير ..

وأخذت مذكرات مختصرة بكل ما وجدته في المقبرة .

وعدت إلى منزلى أحتضن أوراقى ، وكأنى أحتضن عشيقة .  
وفى طريق العودة هطلت الأمطار بشدة .. وبلغت منزلى وثنائى  
تعصر عصراً ، كأنها أسفنجة مكتظة .. وتقطر بالماء .. وفى تلك  
الليلة لم أأنم .

سست أبواب بردية .. فى شوق ..

وكانت بردية عجيبة ..

كانت كلها أرقماً ..

وأن أعرف أن الفراعنة عرفوا الحساب والهندسة ، وبرعوا فى  
علوم الرياضة . . ولكنى لم أكن أتوقع أنهم بلغوا هذا القدر من  
الدقة والتفوق .

كنت أسمى أرقام عشرية ومعادلات وعمليات جمع وصوح  
وضرب الكسور .. ونظرية شبيهة بنظرية مربع الوتر للمثلث .  
وكيف أنه يساوى فى المثلث القائم الزاوية مجموع المربعين

يتميز على المصلعين الآخرين . . ونظرية المتواليات الهندسية . .  
سبب الهندسة الأقليدية .

والأرقام من الواحد ( و ع ) إلى المائة ( شاع ) إلى الألف ( خا )  
إلى المليون ( حح ) ومضاعفاتها وكسورها .

روحت أى ثلث . . ( رو معناها جزء وخمسة ثلاثة . . أى  
جزء من ثلاثة ) ويكتبونها هكذا :



و أربع ويكتبونه هكذا :



والخمس التريبعى ويكتبونه هكذا :



وتوقفت عند معادلة لم أفهمها ..

وصاعف من صعوبات القراءة أن البردية مكتوبة بلغة  
هير صيقية ، أى هيروغليفيه مختزلة ، وكانت بعض الاختزالات  
غير معهومة وغير واضحة .  
كان الكاتب أحد علماء الرياضة ، وكان يعرض طريقة حسابية  
دقيقة ، لقياس درجات الزوال الشمسى .

إنها إذن مذكرة فلكية . .

وأنا أعرف أن الفراعنة درسوا الفلك ، وعرفوا توقيت الفصول



والشهور . وما كانت اشهور عيسى . تحفظ . التسمية هير و غليجية  
تقدمه مشهور

فشهر توب هو تهور بالهير وعيفية

وكيهت هو كهك بالهير وعيفية

وصولة هو حوريا بالهير وعيفية . .

وبرمودة هو برحمت بالهير وعيفية . .

و شس هو . حسو بالهير وعيفية .

ونو هو . نى بالهير وعيفية

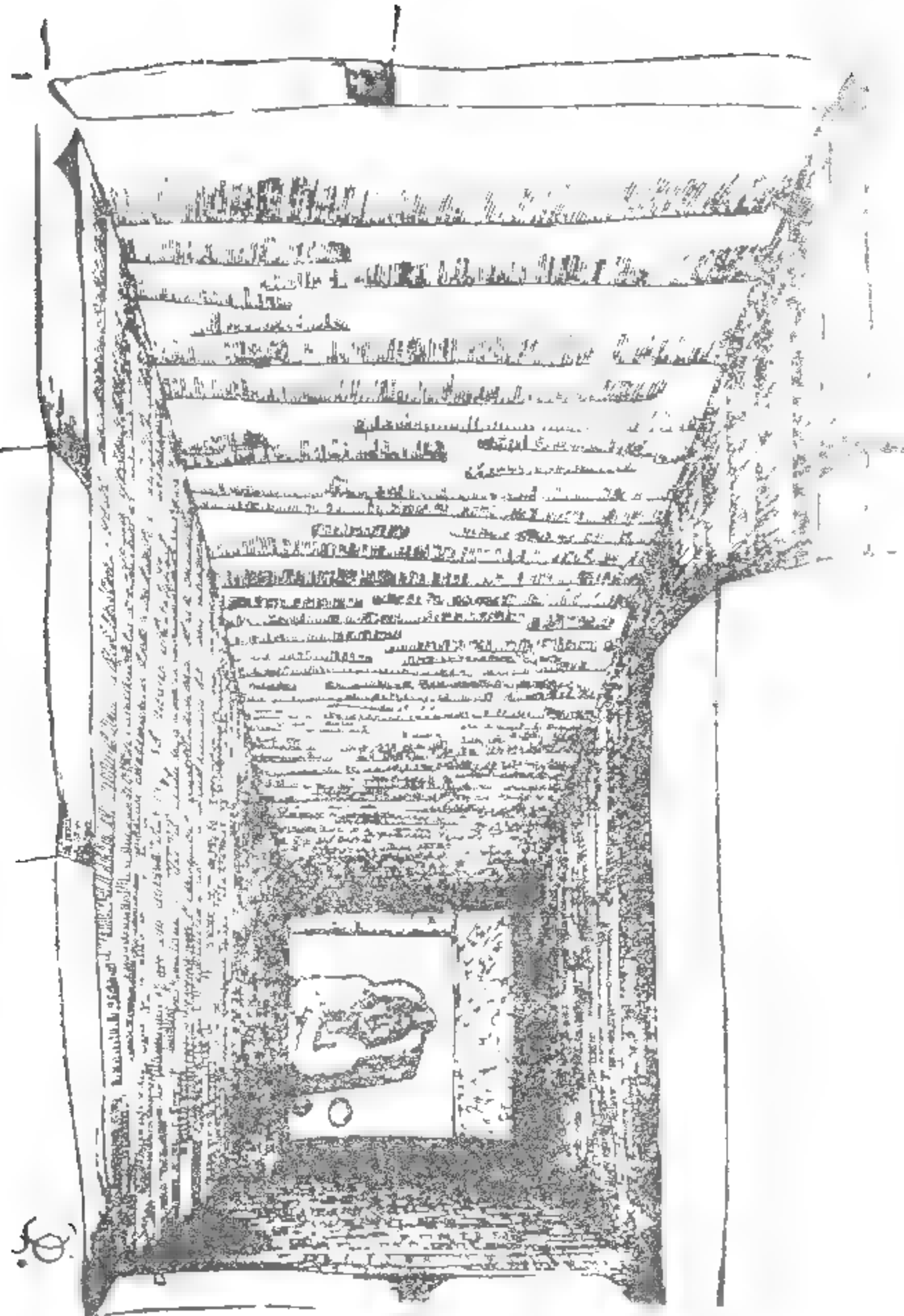
و س هو . س بالهير وعيفية

ولغة النبطية تحفظ له سطق هير وعيفى . و . كانت مكتوبة  
بحروف عربية . فكلمة « مس » بالقطبية معده « يد اباً » .

وقد كتشف شماليون فيها معنى رعمسيس ( رع يلد ) .  
وفص رموز اللغة الهير وعيفية بمساعدة حجر رشيد .

لغة الهير وعيفية م تمت بعد أربعة آلاف سنة . . بل ما  
يصقها برهيد لأقط في أديرتهم بحروف يونانية

إن ما قرأه ندمى . هو عم حى . وليس عمأ ميتاً بئذ . .



ومن يدري أية نظريات جديدة أو قديمة تختفي وراء هذه  
المعادلات التي لا أعرف لها قراءة ..

وكان الوقت يمضي وأنا أجمع حولي القواميس ..  
ما وضع للغة الهيروغليفية من قواميس .. وكل ما قيل في فقه  
خطوطها .. الخط الهيراطيقي والديموطيقي والكرسيني .. وأقاربها  
بالمفردات القطيعة .. وأحاول أن أخرج بمعنى دون جدوى

كان عقلي قد تحول إلى جدار أصم مصمت لا ينفذ منه نور  
من فرط التعب ..

وفكرت أن أدع بردية الفلك جانباً .. وأتناول بردية آخر  
على سبيل التغير ، ربما استطعت أن أنشط ذهني .

وتناولت البردية الثانية ..

وبسطتها أمامي ..

كانت عن فن التحنيط عند الفراعنة ..

لغز الألغاز الذي حير الباحثين والمؤرخين .

وتيقظت كل حواسي ، كأني وضعت رأسي تحت صنوبر  
ماء بارد ..

كنت بردية تدور .. وحول من حولها ..  
هذا الكتاب الأخير وهو لف بومبيد خبطة سرح كتب معمورة  
صمغ . طبقة بعد طبقة . حتى تبلغ ١٦ طبقة من الصمغ  
الذي وصف شامل لصنوات الكاهن يختص بالتضميد وهو  
في شئير والتعويد لسحرية عند تضميد كل عضو . يساعده  
في العودة حيناً . فيؤيد بالتضميد الرأس . مسحها بالزيت .  
وهو يقرأ .. الآن ثبت رأسك فوق رقبتك . وشده بربط  
عظامك . ووهب جسمك لقوى . فلن يصيبه أبى . وقد سرح  
بصمغ سابقين قال : « ولأن عشت عجزك عن حركة .  
تقف بعشت على قدميك . وتمشي كما كنت تمشي . مشي  
تتمتع وأنت على قيد الحياة » .

وتنتهي بردية بترتيب الكاهن للمحتوف .

يكث تعيش ثانية .. فقد رددت إليك الحياة إلى لأبد ..  
وراء شبابيك كأجمل ما كان .

ولم أجد بالبردية وصفاً للمراحل التحنيط وعملياتها . كما كنت  
أتوقع .

وظننت أن البردية هي واحدة من عدة برديات تناول  
التحنيط .. ولكنني وجدت أنها البردية الوحيدة .

وكانت البردية التالية عن الطب والجراحة

وكانت فيها معلومات عجيبة عن تقدم الطب في ذلك العصر

في مذكرة عن الجروح . روت البردية كيف كانت الجروح  
النظيفة تعالج بالخياطة والأربطة اللاصقة وبالحم الطري أول يوم  
ثم بالأعشاب القابضة والعسل لإيقاف النزيف .

وفي مذكرة عن الحمى . وجدت هذه النصيحة :

إذا أصيب الجسم بالحمى<sup>١</sup> وحدثت به تقلصات .. وإذا  
وجدت وجه المريض قد غطاه العرق والزرير . ونفرت عروق  
رقبته وتصلبت أسنانه ، وازرق وجهه ، وانقبض فيه ، والتوى  
حاجباه<sup>٢</sup> . وبدا وكأنه يبكي .. فقل .. هذا مرض لا أقدر له  
على شيء ..

في مذكرة عن الكسور ..

إذا تفحصت رجلاً مصاباً بكسر في الترقوة ، ووجدت بها  
قصراً<sup>٣</sup> . فقل .. هذا مرض سأعالجه . واطرح الرجل على ظهره  
وضع بين لوحيه شيئاً ملفوفاً ، حتى يبتعد جزءا ترقوته ، ويرجع  
الكسر إلى موضعه .. وبعد ذلك ثبت وسادة من الكتان على

الجانب الداخلي من ذراعه . وهو نفس العلاج الذي يعالج به  
الجراحون كسر الترقوة إلى الآن .

والظاهر أنهم لم يجدوا علاجاً للزكام .. وكان حالهم فيه كحالنا ..  
فقد قرأت هذه التعزيم لطررد الزكام مكتوبة في البردية :

انصرف يا ابن الزكام ، الذي يكسر العظام ، ويهشم الجمجمة ،  
وينخر المخ ، ويصب المرض في فتحات الرأس السبع .. لقد  
أحضرت لك جرعة خاصة ضدك ..

أما الجرعة فمواد مركبة من لبن امرأة وضعت مولوداً ذكراً ،  
ومن عصير نبات ، لم أعرف نوعه ..

والأغلب أنها جرعة ملطفة لالتهابات الزور .

وفي أمراض العيون قرأت هذه الوصفات :

لعلاج التهاب الجفون ، نقط من الصبر . وسلفات النحاس ،  
( التوتيا الزرقاء ) تقطر في العين بواسطة ريشة نسر .

وفي مرض الشعرة ..

نصحوا بانتزاعها ، ووضع مرهم من دم الخفاش ..

وللرمد الحبيبي ..

الكحل ، وسلفات النحاس ، وكبريتات الأنثيمون ..

وصادفت في البردية أكثر من ثلاثين صنفاً من الأعشاب  
والنباتات . والمواد المعدنية ، التي توصف للأمراض .. وبعضها  
أسمع عليه مثل البابونج ( لطررد الديدان ) ، والقرطم ( لعلاج  
الرمم ) ، والكولشيك والخردل والنفاح والمر والعفص وجوزة  
الطيب وحب البركة والأفيون والسكران والحشيش وبصل السمور  
وشعر الجن والمانيزيا والزنجار وأملاح الحديد والنحاس والرماس  
والأنثيمون ..

وقرأت عن ألوان من التخصص عجيبة .. مثل التخصص في  
تحضير الحقن الشرجية .. ويسمون القائم بها .. راعى الشرج ..  
هذا عدا التخصصات العادية في أمراض النساء .. وأمراض العيون  
والكسور .. والجروح .. والحروق .. والأورام .. والأسنان ..  
وفي البردية وصف دقيق للذبحة الصدرية :

إذا فحصت مريضاً يشكو من آلام في صدره وذراعه وناحية  
من معدته .. فقل .. هذا مرض خطير .. والموت يهدده ..

وكانت هناك ملاحظات دقيقة عن تشخيص الأورام بالخبر  
والدق عليها بالأصبع ..

كنت أمام طبيب كبير وعالم بالفلك والهندسة والحساب  
والتحنيط .

من يكون .. ؟

هل هو أمحوتب .. الطبيب المهندس العالم . أيام الملك زوسر ،  
وب ملوك الأسرة الثالثة ، صاحب هرم سقارة المدرج .. والذي  
قد أنا أنه هو الذي أشرف على بناء الهرم المدرج ووضع تصميمه ؟  
ولكني لم أجده له تمثالا واحداً ، ولا رسماً . ولا اسماً محفوراً  
في المقبرة ..

ولم يرد ذكره مرة واحدة في البرديات ..

أبكون السبب أن المقبرة ليست مقبرته . وأنه منقول إليها بعد  
نهب مقبرته الأصلية ..

عدت إلى الكتب التي كتبت عن أمحوتب .

وظلت أقرأ حتى الصباح حينما ثقلت أجفاني من التعب وكنت  
م زلت أفكر في أمحوتب ، وفي التحنيط . وفي علاقة أمحوتب  
بالتحنيط وبالطب وبالفلك ، وانطبقت أجفاني ، وذهني ما يزال  
مشغولاً ..

\* \* \*

وفي ما يشبه الحلم ..

أقول ما يشبه الحلم لأنني أعتقد أنني لم أكن نائماً .. وإنما كنت  
في حالة استرخاء شديد ، وشبه غيبوبة من التعب ..

رأيت ما يشبه أمحوتب في ثيابه الفرعونية .

وحينما اقترب منى . خيل إلى أن وجهه يلتبس على بوجه آخر  
أعرفه . وكان المنزر الفرعونى الذى يضعه حول خصره . يشبه  
إزاراً آخر ، كان يضعه رجل آخر نصف عريان مثل هذا الرجل

ودقت في وجهه ..

نعم إنه البراهما واجيسوارا ، بعينه . في ثياب فرعونية  
ومشية فرعونية .. وعلى وجهه ذلك الجلال الذى كان على وجه  
أحموتب القديم .

وابتسم البراهما .. أولعله أحموتب .. لا أدري ..

وسمعه يقول :

— أنا أعرف ما يشغلك .. أنت تريد أن تقرأ بقية البرديات  
التي كتبها عن التحنيط .. أنت تريد أن تعرف سر هذا الفن القديم .

قلت وأنا أرتجف .

نعم .

ولكنه لم يعد سراً .. ولم يعد فناً .. وليس جديراً به  
هالة التي خلقتوها حوله .. حينما كنا نقوم به في الماضي  
تركه للمبوزين من أخط الفئات الشعبية لمارسه ..

إن كل ما أتمناه هو أن أعرف ماذا كانت تلك الفئات  
ة ، التي تقوم بالتحنيط ، تفعل ؟ ..

كان التحنيط بكافة عملياته يحتاج إلى سبعين يوماً ، يردد  
ثناء الكهنة الصلوات ، ويشرفون على المراسيم والطقوس ، وقد  
تدوا أقنعة . على هيئة رأس ابن آوى ، تمثل الإله أنوبيس ، وهو  
له الموتى عندنا . .

وكان المخطط يبدأ عمله بتفريغ الجمجمة ، وكان هذا يحتاج  
إلى معرفة دقيقة بتشريخ الجمجمة ، لأنه كان يقوم بهذه العملية  
بإدخال خطاف معدنى ، عن طريق الأنف ، يخرق قاع الجمجمة ،  
ويصل إلى تحويها .. ثم يدير هذا الخطاف داخل الرأس . حتى يهرس  
مخ . ويحوله إلى هريسة . يفرغها مرة أخرى من الطريق نفسه ..

وبعد ذلك . كانوا يفرغون البطن من خلال فتحة من الجانب  
لأسر . .

ويستخدم المخطون في ذلك سكيناً من الحجر الصوان . وكانوا  
يفرغون البطن والصدر من أحشائهما ومحتوياتهما ، ماعدا القلب  
يتركوه في مكانه موصولاً بشرايينه . والكلية كانوا يتركونها في  
مكانها لاصقة بالظهر . . وإذا حدث وانتزع القلب أو إحدى  
كيتين بطريق الخطأ كان يتعين إعادتها إلى مكانها . . وقد كان  
هذا ضرورياً لاستمرار الحياة ..

وكان تجويف البطن والصدر يحشى بعد ذلك بالكثبان المشبع  
بمسود عطرية والصمغ والنظرون .

أما الأمعاء فكانت تملأ في العادة بالمر والينسون والبصل



بعد غسلها بنبيذ البلح والمواد العطرية . ثم تلف بالضمادات وتحفظ في أوعية خاصة . . .

وكانت فتحة البطن تخاط بعد ذلك ، أو تسد بالشمع المذاب  
كما كانت تسد فتحات الأنف والفم والأذنين والعينين بالماء  
نفسها . . .

ويأتى بعد ذلك دور التجفيف ، وهو أهم الخطوات لحفظ الجسم وصيانتة ، وكنا نستخدم فى ذلك ملح الطرون ، وهو مادة طبيعية ، من خصائصه أنه يمتص الدهن والرطوبة . .

وكان ملح النطرون ، بالإضافة إلى هذا ، ملح مقدس عندنا  
وكان يمزج بالبخور ، ويغسل به الفم ، أثناء الطقوس الدينية .

ولما كان الجلد يتسلخ ، والأظافر تتساقط غالباً أثناء التجفيف بالطرون ، فقد كان لزماً على المحنط أن يحيط طرف كل أصبع بكستان من الذهب ، أو المعدن . ليضمن بقاء الظفر في موضعه .

وكان يغمس الجثة عمودية حتى العنق ، في أوان كبيرة مليئة بالنظرون . بحيث يبرز الرأس فوق الحافة ، وبذلك لا يتسلخ ولا يتشوه بالمح .

وبعد الانتهاء من التجفيف . كان الجسم يرفع من المنطرون  
ويغسل بمحلول من الملح نفسه . مضافاً إليه الزيوت العطرية . أما  
الأصابع فكانت تصبغ بالحناء ، والفجوات الناتجة عن تحلل

- ٨٦ -

• مصاب في صراف جسم . كبت حسي نسبة كبت . أو  
• آلة الخشب والرمال . حتى تعود إلى سابق مظهره نصفي .  
• زيت تدهن بمومياء الصمغ السائل

وكانت عميئة الأحياء تجري واجسام ممدود على مناضد  
من الخشب ممدود تشريح . مجهزة بالوعاء أسفها . لصرف  
السوائل . وكان منصوب عليها كشاف مستعرضتان من  
الخشب . يوضع فوقهما الجسم مرتفعاً عن السطح . حتى يتمكن  
المشاهد من فحصه . وللب الأربعة . من تادية عملها  
في جوف الجسم . وكانت هذه لأربعة تغرس في نصع وتنفذ  
من طرف متعدد جوف عميئة . بين الكهنة يقرءون المصوات  
من جوف . في تصف كل عضو على رد حياة إليه . .

۱۰۰ کتب عمیة کما یجمعون کل ماتقی من یولد  
 فی هذه الکتیبه متسخه ، و لأوعية المراجعة ، ویودعونها فی ركن  
 من هذه و حذرة قریبه .

منه كانت تنبئ عميقة ، تحييف ، التي خفتة حوله كل هذه  
 ط + + + سرية .

نہ کہتے ہیں۔ یہاں کہتے ہیں کہ "فہم جدیداً بکمل ہمدہ المبالغۃ!!"

« من يكون إذن فن التحنيط . من فن النحت ، والموسيقى ،

والمعمار ، وعلوم الهندسة ، والطب ، والفلك ، والرياضيات

يبدو أن خيالكم ذهب بكم بعيداً ..

وسكت .. ونظر إلى مبتسماً ..

وهتفت في حشجة :

— ولكن من أنت .. إني أعرفك .. أعرفك .. أنت البراهما  
لقد لقيتك من قبل .. وجلست إليك .

— منذ أربعة آلاف عام .. ربما .

أمحوتب .. البراهما .. مستحيل .

أو الاثنان معاً . لم لا ..

مستحيل .

وتزاحمت الكلمات في فمي .. وكنت أريد أن أسأله عن الطب  
على أيامه ، وعن الفلك وعن السحر ، وعن الحياة الأخرى ،  
ولكني كنت أتكلم ، فلا تخرج من فمي ألفاظ .. إنما يخرج هواء ..

وكان قد بدأ يعطيني ظهره وينصرف ..

حاولت أن أصرخ لأوقفه ، ولكن صراخي كان يخرج من فمي  
هواء لا صوت له .

— ٨٨ —

كان هو البراهما ذاته في مشيته وجلاله . ولكن كيف .

كيف

تعرفت في لحظة واحدة لا أستطيع أن أحققها .  
تبصت وأنا أعاني ثمة عظيماً في حني وصدرى . وكأني كنت  
أفقت لعدة ساعات

وكنت ما زلت منكفئاً على مائدتي وأمامي البردية الأخيرة .  
.. أن تماكنت حواسي حتى أسرع أدون في عجلة مسمعته  
تمميت التحنيط في حلمي .

وحشت عن مرجع هيرودوت .. لأقرأ ما قاله عن التحنيط ..  
و .. عني عني مسمعته في منامي . .

.. كنت مذهلة حينما اكتشف أن أعذب مسمعته مكتوباً بنصه .  
.. روية هيرودوت عن التحنيط . . وهي الرواية التي جرى  
.. عن تكبيها

.. .. ككلام أمحوتب . . إن فن التحنيط لم يعد فيه  
.. وأن ما خفده حوله ليس إلا هالة من المبالغات .

وكنت أفكر في أمحوتب الذي رأيته في المنام .

من هو أمحوتب حقاً ؟ ولماذا يقول أنه أمحوتب والبراهما في  
.. وقت

كيف يكون هو نفسه . وهو الآخر في نفس الوقت

كيف أكون أنا نفسي ، وأنا الآخر في نفس اللحظة .

وكيف يتعاصر الماضي والحاضر . . أم أنى أهذى .

أم أن انشغالى الشديد . هو الذى صور لى كل هذه الرؤى .

وقراءاتى فى هيرودوت هى التى أعادت نفسها على لسان هذه  
الأشباح التى توهمتها ..

كان نوماً كأنه الموت ..

وكأنما انسدت عدة أستار سوداء بعضها فوق بعض أمام

الرؤى .

وكأنما ثقلت الرأس ، فإذا هى جبل من حديد .

وكأنما ذابت الأطراف فأصبحت عدماً ..

ولكن ثمة حياة ظلت هناك تحت هذا العدم .. ثمة وجود .

فإن موجود وسط هذه البحار الممتدة من الظلمة والسكون .

أن موجود تحت الردم .

أن هنا ..

فى أبيدوس .

فى أبيدوس .. نعم ؟

وأنا أثبتين المكان حولي جيداً .

إنه محفل هائل .. وهناك زينات أمام المعبد .. والملك والملكة  
جاءا محمولين على محفتين ملكيتين .. وهناك خلق كثيرون قد  
خروا راکعين حينما ظهر الملك .

الملكة تبسم .. أنا أعرفها .. إنها نفرتارى . والملك هو أحس .  
والكهنة يروحون ويحيثون بملابس أرجوانية ذات أك  
واسعة .

وهذا هو « نون محب » حكيم القصر .

ونون محب يميل على هامساً وهو يشير إلى أحد الكهنة .

— هذا هو الكاهن الذى سيمثل دور أوزيريس .. وهذه  
هى الساحرة التى ستمثل دور إيزيس .. وهذا هو ابنها حور ..  
إنك لن تستمتع بالمرحبة إلا إذا عرفت قصة الآلهة عندنا ..

وأخذنى نون محب ، وراح يتمشى بى تحت كرمة ذات تعاريش  
كثيفة .. وكانت استعدادات التمثيل تجرى على قدم وساق وراء  
المنصة الكبيرة على شاطئ النيل ونحن نتحدث .

قال نون محب .

— تقول أدياننا أن الكون بدأ على صورة فضاء أزلى ، بلا

، حركة . ولا حياة . ثم قام فيه رع إله الشمس ، الذى خلق نفسه  
بنفسه .. ومن فم رع ، ومن أنفاسه ، ولد شو ، وتفنوت ، الذين  
تزوجا لينجبا نوت ربة السماء . وجب . إله الأرض ، وتزوج  
جب ونوت ، وأنجبا الأخوة الأربعة : إيزيس ، وأوزيريس . وست .  
ونفتيس . وهكذا تألف التاسوع الإلهى الذى يحكم الكون .

ثم بدأ الصراع بين الآلهة . فقتل ست ، أخاه أوزيريس ومزقه  
يراً وألقى بأشلائه فى الجهات الأربع ، واستولى على ملكه .  
وأشرب المسرح :

— ها هو العرض قد بدأ .. وها هو « ست » ملفعاً بعباءته  
السوداء . وعلى وجهه قناع مفزع ، يتسلل إلى المسرح . ويقتال  
أوزيريس

— هل هو يمزقه بالفعل .

لا .. إنما هى براعة التمثيل ، هى التى جعلتك تظن أنه  
مزقه . وما هذه الأشلاء التى تطايرت فى الفضاء إلا أشلاء دمية .

وها هى إيزيس تظهر على المسرح ثائرة باكية . تجمع أشلاء  
أخيها وزوجها القتيل أوزيريس .. وها هى تقرأ الصلوات  
والتعويد . وتضم الأشلاء ، بعضها إلى بعض ، ثم تحيها بالسحر .  
فتعود إلى أصلها ..

والأناشيد التى تسمعها . هى أناشيد الفرح يبعث أوزيريس ،  
برتها الكهنة .

وايزيس وأوزيريس الآن ، في خيمة الحب ، يتبادلان الة  
وحوريات المعبد يرقصن ويرتن :

أوزير يا واهب الخصب والثناء

يا باعث الحياة في أجنة البذور

يا واهب الثمار للأشجار

ودثر الأزهار

على ربي الصحارى وسفوح و الجبال

وها هي ايزيس قد حملت من قلة أوزيريس

وأوزيريس إله الإخصاب قد أودعها بذرتة

وها هي ايزيس تلد ابنها الإلهي حور ، بين أغاني المنشدات :

يا حور .. يا عيوننا التي لا تنام

يا ساهراً على العدالة .

وحور إله الحق والعدالة ، يتطلع إلى اليوم الذي يثار فيه لآبيه  
من قاتله ، ويسترد ملكه . ويهزم إله الشر : ست ، وأنت ترى  
المتفرجون من عامة الشعب ، قد بدأوا الآن يختلطون بالكورس

ويتركبون في تمثيل ، وقد انضم الأخيار منهم إلى حور والأشرار  
في ست . في معركة الألفية بين الخير والشر .

وها هي الأبواق تدوي في نذير الشؤم والحرب .. والمعركة  
تدور حامية بين حور ، وست .. والسيوف تلتحم .. والرقاب  
تنصير ، والضحايا تسقط .. والدماء تسيل .

وايزيس تطلق البخور ، لينتصر ابنها على عدوه .

وبقية التاسوع الإلهي ، يرقب المعركة الدائرة في حياد .

وهي معركة استمرت ثمانين عاماً .. ولم ينتصر فيها أحد ..  
وقترح ست أن يتقمص كل منهما صورة فرس البحر ، ويلقى  
نفسه في أعماق النيل .. ومن يستطيع منهما البقاء تحت الماء مدة  
طول من الآخر ينتصر .

وها هو ست ، يلقي بنفسه في الماء ، ومن خلفه حور ..  
لعمهما النيل .

وها هو ست يقذف على الشاطئ بعين حور .. لقد قلع ست  
عين حور .. وقطع حور خصية ست .. وها هو يلقي بها هي  
الأخرى على الشاطئ ..

وهما هما خارجان من الماء في وقت واحد جريحين ، لم  
ينتصر أحد منهما ، بعد كل تلك المذابح .

ونحن الآن في فترة استراحة . . ويمكن أن تناول شيئاً من  
الطعام .

ودن المسرح يتحول في تلك الأثناء إلى سباط ممدود ، عليه  
مئات من أواني الجعة والنبيد ، وأعداد من سلال التين والعنب ،  
وألوان من الفطائر والحلوى والدجاج المحمر . . وكل الموجودين  
بشركون في الطعام .

وقال لي نون محب ، إن هذه المسرحية تستمر لعدة أيام.. وأن  
فصولها العديدة تمثل يوماً بعد يوم ، طوال فترة الأعياد ، وهي  
كالعادة لا تنتهي إلى نهاية ، شأنها شأن صراع الخير والشر ، الذي  
تم بلا نهاية طول الأزل .

وغاب لحظة ، وعاد معه فطيرة ناولها إلى .

— فطيرة مقدسة من فطائر العيد .. هذه الفطائر باركها الكاهن  
الأكبر ، بتعاويذه وصلواته ، وهي تزيد من قوة من يأكلها ،  
وتطيل في عمره .

قلت فجأة :

— هل تصدق هذا الكلام الفارغ ؟

ولظر إلى في دهشة وقد انعقد لسانه . . بينما أردفت :

— هذه البركات التي يوزعها كاهنك الأكبر . ومن ورائه  
أسوعه الإلهي . . وهذا الكلام الفارغ عن إيزيس وأوزيريس .

والإله رع ، يعيد إلى حور عينه ، وإلى ست خصيته  
ويقترح إجراء محاكمة عادلة ، يشترك فيها التاسوع الإلهي .

وست . يشترط أن تجرى المحاكمة في جزيرة منعزلة  
وآلا تحضرها الساحرة إيزيس .

وها هو « عنتي » يجدف بالقرب المقدس إلى الجزيرة ، وه  
ست . وحور ، وبقية الآلهة . وإيزيس متنكرة في هيئة عجوز  
حتى لا يعرفها عنتي .

وها هي إيزيس في الجزيرة ، تسحر نفسها على هيئة عذ  
فاتنة ، يقع في حبها ست . ويغازلها . فتحكي له مصيبتها ، وك  
أن ابنها سطا عليه لص وسرق ماشيته من الحظيرة . . وست يج  
مستنكراً . . وكيف سطا اللص على الماشية ، وأين كان ر  
العائلة ؟ .. إنه لجرم أثيم . . .

وإيزيس تصرخ صراخاً حاداً عند سماع كلماته ، وتنح  
إلى طائر . وتحط على فرع شجرة ، وهي تناديه ساخرة :

إبك على نفسك .. إن فلك هو الذي قالها ، ومهارتك .  
التي حكمت عليك ، أيها اللص الذي سرقت ابني ونهبت ملكه  
أيها المجرم الأثيم .

وها هو ست ، يلطم خديه ويذهب باكياً إلى رع .

وتنطق الأبواق ، وينشد المنشدين معلنين انتهاء الفصل  
الأول من المسرحية .



وہیں نہ کہ ... وہ پر ... وہ بہت غریب علاقہ میں تھیں

وہ

ہیں یہ وہی وہی لا کدب سادہ

نہ کہ حکیم

وہیں تکیوں کدب . حیم تقویٰ حیثیت التي نجہ . .  
حیثی . . یا حیا القب . . یا وہیہ الحیة و تسعاده . . یا بلبل  
معرد علی وں . ہں تکیوں حیثیت بسلا حفا . ان لادین أشعار .  
يعصہ شعرحیہ . يعصہ شعریہ . واکہم دئمہ تدل علی  
نیء فی القب . شیء صدق

وہیں ہی ہی سمعت ہندہ بہت سے ہیں

وہیں ہی ہی ملامح . رحلی ہی ہی . وکدب قسم  
فی شعریہ . وئی فہ . وئی حیت . وستمعت إلى  
حکیم

ہم یہ ہم

ہم یہ ہم . وریہ حری .

ہم یہ ہم . وریہ محب . لا ذری .

ہم یہ ہم . وریہ . وریہ . وریہ . وریہ . وریہ .

تعارف ہی ہی موجودت . وریہ وریہ موجودت .  
کدب .

وہیں ہی ہی ہی ہی ہی .

ہم

ہم یہ ہم یہ ہم . وریہ ہم یہ ہم . وریہ ہم یہ ہم .  
ہم لا تصحیح علی ہم .  
وہی ہفتہ قائلہ

کری ہندہ ہفتہ . صدقی ہی ہی ہی .  
وہی صدقہ ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی .  
وقت وں اقصی ہفتہ :

ہی ہی ہی . کدب کدب . وریہ ہی ہی ہی .  
ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی .  
وہیہ ہی . وریہ ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی .  
وہیہ ہی . وریہ ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی .  
وہیہ ہی . وریہ ہی ہی ہی . وریہ ہی ہی ہی .

وہیہ ہی

ہیہ ہیہ ہیہ ہیہ ہیہ . وریہ ہیہ ہیہ ہیہ ہیہ .  
وہیہ ہیہ ہیہ ہیہ ہیہ . وریہ ہیہ ہیہ ہیہ ہیہ .

مومياء خوفو وتابوته وتحفه ، مازالت سليمة في مكانها بالهرم ،  
لم تصل إليها يد . . والتابوت الفارغ ، وضع للتضليل .

وكان هذا الكلام قبلة بالنسبة لى كمهندس آثار .

هتعت فى فضول :

— وأين إذن توجد غرفة الدفن الحقيقية ، إذا كان التابوت  
لدى عثر عليه توبة وهمياً .

— أسفل بئر سرية لم تكتشف بعد .

— وكيف يمكن الوصول إلى تلك البئر ؟

ونظر إلى نون محب فى استغراب .

وم يستصع أن يخفى دهشته لعضوى الزائد ، فقال ضاحكاً :

— هل تريد أن تشترك مع اللصوص فى حملة أخرى .

— أنا . . لا . . لا . . إنما هو مجرد فضول للحقيقة .

— إن المكان لا يعرفه إلا الكاهن الأكبر فى معبد الشمس .

وَرَدَف بعد فترة صمت :

وهذا أقول أخرى بأن مكان مكتوب فى بردية . فى  
مقبرة المهديس حرم أبون ، لدى بى هرم . وقد سمعت كهناً من



المرتلين في معبد الشمس يقول : إن الـاب حقيقى يوحـد على نقطة  
ما فى الضـدع الشرقى للهرم . . والحقيقة كما قـدت لايعرفها أحد .

— وهـن يقـول كـهـتـكـم أـيـضـاً أن « أبو الهول » تحته غرفة  
سرية ؟

— لا . . إن أبو هول ليس مقبرة . . إنه تمثال الإله آتو  
. . وهـو يـمـسـه إله الشمس رع ، فى رحلته فى عالم الظلمات كل مساء .  
وقـد تحـول إلى أسـد يهرم أعداءه من الجن والمردة من سكان عالم  
الظلمات . . والتمثال منحوت فى كتلة مصمتة من الصخر . وأمامه  
معبد عظيم . . وكان الكنعانيون يعبدونه ، على أنه إلههم حورون ،  
أو « حول » ومن هنا جاء لكم اسمه « يو حور » أو « يواهور » .

— أنت أستاذ عظيم فى التاريخ .

شكرت .

ولكنى لا أصدق كيف تكون نون محب ، وأنت تعرف  
أشياء لم ترها فى عصرك . . وكأنت عشت فى كل العصور .

حقاً . . إنه لشيء رائع أن يعيش بوحده فى كل  
العصور .

. لا أفهم كيف يمكن أن تعيش فى الماضى وفى الحاضر فى نفس  
الوقت ، وكأنما كل اللحظات قد تعاصرت بين يديك ، وكأنما  
لزم عندك هو الأبد .

ومن يدري . ربما كان الزمان هو الأبد بالفعل . . ربما كان  
. . حقيقة يتوقف على طريقة التى تعيش .

طريقة التى تعيش . .

وأصـرقت سـهـمـاً حـصـة . ثم قـدت و . . فـكـر

بى أعـب . كيف يـمـكـن أن تكون أنت نفسك . وأنت

آخر . . . . . ثلاث . . . . . ثلاثة ؟

من نحن و أحد .

وفى متسماً بتسامية عامضة .

وبضرت إليه . . كأنه هو البرهما نفسه . . رجل لذي عـش  
كل الأسماء والأزمان . . وحتوى الأبد كله فى داحيه .

وكان الكورس والممثلون قد بدأوا يتقاطرون على المسرح  
ويستعدون لأداء أدوارهم . وكان لكهنة يرتدون أثوابهم الكهنوتية

. ويضعون الأقنعة المرعة على وجوههم . ولكن المنظر كان  
يبهت تدريجياً . . ولأشك كانت تدوب وتختلط فى سديكة من النور

المبهـم تضايـق العين . . والموسيقى كانت تتحول إلى ضجة . .  
وكانت أشعر بالضيق لشديد . . وأتقلب فى مكاني . . وفتحت

عيني لأجد أن الشمس فى عيني . . والغرفة ٢٠٠ .

وينظرة سريعة إلى ساعة يدي . اكتشفت أنى قد نمت أكثر

من ثلاثين ساعة متصلة .

وقعت من مكاني رأى قومه من و.

وكنت أصدده حمى عريب من رات تصادنى

هرم لأكبر .. وعرفة سرية نى .. تكتشف ..

لأنهم لا يمكن أن يصدقوا هذين

و نشت بهم .. حمى نوى .. قس أن نى ..

وتدولت قصوى سرعه

و كشتت نى سيب حاشى نى سكويه .. و نى مصر عرقه ..

و نى .. تعد صدحه بالستعم .. كى مصر قد ظل يضرد هذه

حاشى من كشت نى .. من يومى .. حتى ساعد قبل صدوع

شمس حتى .. حاشى نى .. كى شكى ..

و نى كشت أنقى محب .. نى حاشى لأخرى .. لاحظت نى

من لم يعد .. حاشى نى ..

و نى كى تصدده مصره من نى نفيه بعين .. لاحظت

من .. من حاشى نى .. من مقبرة المحوت بين

طياته

وكنت كى حده قد نقت عن ستة خصره صغيره .. وحملت

فى حبات النشئة فى دهور

عد أربعة آلاف سه ..

عد أربعة آلاف سه .. من هذا شىء يصدق ؟؟ !

عد أربعة آلاف سه .. تدب الحياة .. ويقوم الجنين النائم

من نوبته ؟؟ !

كنت أفكر فى « حمى يون » ..

كان هذياناً .. ولكن أى شىء لم يعد هذياناً ؟!!

لقد بنت حبة القمح بعد موات أربعة آلاف عام فى باطن

الأرض .. وسبقت حقائق الواقع غرائب الخيال المجنح ..

لم يعد هناك مستحيل ..

كانت معلوماتى عن ( حمى يون ) أنه ابن سفرو .. وأحد

بخوة خوفو .. وأحد الذين أشرفوا على بناء الهرم الأكبر فى المرحلة

الأولى من بنائه .. فقبرته مثل مقبر الأسرة الملكية .. لا بد موجودة

فى الجانة الملكية حول الهرم .. والوصول إليها ليس أملاً بعيداً ..

استخرجت إيداً بالحفر فى الجانة الملكية .. وذهبت على رأس

فرقة من العمال إلى منطقة الهرم ..

وبدأت بالطواف حول المقابر التى كشف عنها بالفعل .. وكانت

كلها مسروقة ولا وجود لشيء فيها سوى الجدران ..

ثلاثة أهرامات صغيرة تحولت إلى ركام ، هي مقابر زوجات خوفو الثلاث ، تليها مقابر الوزراء ، وكبار رجال الدولة والكهنة . رسمت خطأ على امتدادها ، وأمرت بالحفر .

وبينما كان الحفر يجرى .. كنت أقرأ النقوش على كل جدار قديم . وكل قطعة حجر ، وكل طلل ملقى على الرمال .. أبحث عن إشارة ، أو خبر عن « حم أبون » .

جلست معي كل امراجع لبردية تتى ذكرت خوفو وهرمه .. وكل ما كتب من أساطير وقصص ، حول خوفو وأسرته كنت أعمى أن الحفر سوف يستمر يوماً ..

وكانت السنوى الوحيدة أن أقطع الوقت في الحفر على طريقي .. في بطون الكتب .. وخوفو شخصية أسطورية في الأدب المصرى القديم . مثل عنتر عندنا .

ولهذا وجدت أكثر من مادة قصصية تدور حوله .

في بردية يعود تاريخها إلى الأسرة الثانية عشرة ، وجدت هذه القصة الغريبة عن مغاليق الهرم .

كان خوفو يريد دائماً أن يعرف سر مغاليق هيكل تحوت ، مصنع مغاليق تماثيلها في هرمه .

وسمع خوفو عن الساحر العجوز « ددى » الذئب يبيع من العمر مائة سنة وعشراً ، ويأكل كل يوم خمسمائة رغيف ، ويشرب مائة إناء من الجعة ، ويأكل فخذ ثور ، ويجعل الأسد يسير خلفه وديعاً كالكلب ، ويعرف سر مغاليق هيكل تحوت .

وطلب خوفو من ابنه أن يسافر بنفسه ليحضر له ذلك الساحر .

وذهب الأمير الصغير إلى قرية سنفرو ، حيث يوجد الساحر .. وكان الأمير يجلس ممدداً على محفة من الأبتوس ، يحملها العبيد .. وعندما وصل إلى منزل الساحر ددى ، وجدته نائماً على حصير أمام عتبة بيته ، واثنان من الخدم يدلكان له قدميه . ونهض ددى لاستقبال الأمير وحياء أحسن تحية .

وقال الأمير : إنه موفد من أبيه الملك ، ليدعوه إلى قصره لينمتع بأحسن المآكل والمشارب .

قال ددى : في أمان .. في أمان يا حور ، يابن الملك الذى يحبه أبوه .

وذهب معه إلى شاطئ النهر ، حيث كانت السفن راسية في انتظاره .

وطلب ددى أن يخصصوا له سفينة لأجل عائلته ، وسفينة أخرى لأجل كتبه ومخطوطاته . فخصص له الأمير السفينتين .

ولما وصل ددى إلى القصر ، استقبله خوفو في قاعة القصر الكبرى ، ذات الأعمدة ، وبادره قائلاً : لماذا لم أرك قبل الآن ؟





من قلق .. وعلى حرصه في أن يكون لهرمه مغاليق لا تفتح ولا يصل  
إلى سرها أحد ، مثل مغالبة معد تحت

كنت أقرأ في هذه البرديات ، حينما جاءني أحد العمال يهرول  
فرحاً ، وفي يده لوح من الاردواز ، عليه كتابة هيروغليفية .  
كانت الكتابة أشبه بتحية أو أغنية أو خطبة قيلت في الاحتفال  
بتتويج أحد الملوك وكانت ترجمتها كالآتي :

ياله من يوم سعيد ، فالأرض والسماء مبتهجان . لأنك سيد  
مصر العظيم .

لقد رجع الهاربون إلى مدنتهم ، وظهر أولئك الذين كانوا  
مختبئين .

وأصبح الجائعون سعداء . وقد شبع بطلونهم ، وأصبح  
الظالمون مرتوين .

ومن كان عارياً ، أصبح يرفل في الكتان الجميل ، ومن كان  
، أسماً ، أصبح يرتدى أجمل الثياب .

وأطلق سراح من في السجون

أما الأراامل ، فقد تركن أبواب بيوتهن مفتوحة ، وصار يدخلها  
ون .

وابتهجت السفن ، وهي فوق المحيط . لأن البحر اختفى موجهه .  
وأخذت السفن تصل إلى الشاطئ ، وهي تسير بالرياح وبالمجاديف .  
ولم يكن على اللوح إشارة إلى الملك المحتفل به ، أو إلى  
الكتاب .

وذهبت مع العامل إلى المكان الذي اكتشف فيه اللوح ..  
ولكن لم أجد مكاناً ، أو قبراً . أو مصطبة ، أو بناء من أى نوع .  
وإنما مجرد كومة من الرمل  
وأمرت بتركيز عمليات الحفر في هذه الكومة .

ووقفت على رأس العمال أختبر كل صغيرة وكبيرة تظهر على  
أطراف معاولهم .

عثرت في الرديم على جبات من اتحرز الأخضر . وتمائيل  
صغيرة ، ودمى من العاج ، وجعارين . وثلاثة ألواح أخرى .  
بها شروخ متعددة ، لكن كتابتها مقروءة .. وهي أغنيات غزل من  
أخ لأخته ، ومن أخت لأخيها ( كن الغزل والزواج بين الأخوات  
أمراً مألوفاً في أيام الفراعنة ، وأكثر الملوك الفراعنة ، تزوجوا  
أخواتهم ، وأخناتون تزوج ابنته ) .

تقول الأخت لأخيها في الأغنية .

إلهي .. يا أخي . إنه لجميل أن أذهب إلى البحيرة لأغتسل  
أمامك .

وأجعلك ترى جمالي . وقد ارتديت ثوبي المصنوع من أجمل  
الكتان الملكي عندما يبتل .

بني أعطس في الماء معك . ثم أعود إليك سمكة حمراء ، وقد  
استقرت حمية بين أصابعي . تعال و نظري .  
ويقول الحق .

عندما أرى أختي تيه . ففتح در عي لأعاقها . فيبتهج قلبي في  
مكره مثل مصمور .

يد عاقته وفتح في در عيب . أحس كأنه أصححت مثل  
شخص من بلاد يوت . مصمخ بالعصر .

فقد قنتم . وفتح في شمتيه . أحس بأى قد نشيت دون  
أن تدوق خعة .

ليتي كنت جرد . في تقوم عي حذمتها حتى أرى لون  
جسده كله .

ليتي كنت عرس يهب . و هو ممد شهر و حد . لأعسل العطر  
سي في تيه .

ليتي كنت حياء سي في أصعب .

و سوار سي في در عه .

و اعقد اسي على صدره .

وفي اللوح ثالث أعية حب رقيقة كبرها كالأقي :

صياؤه ساطع وجسده منير

جميلة العينين ، عندما تنظر  
حلوة الشفتين ، عندما تفتحها لتحدث

لا تنبس بكلمة ، لا حاجة لها

طويلة العنق ، جميلة الثدي

وشعرها أسود يلمع

ذراعها يفوق الذهب في طلاوته

أما أصابعها ، فمثل براعم اللوتس

ثقيلة الأرداف ، نحيلة الخصر

ينبئ ساقها عن جمالها

وما أرشق قدمها عندما تسير

لقد سلبت روحى مع قبلتها

لأنها تجعل أعناق الرجل تنثنى

مستديرة نحوها إعجاباً عند قبلتها

ما أسعد الذى يلثم فيها

فإنه يصبح أقوى من كل الرجال

كنت أمام قبر شاعر ، أو أمير مولع بجمع المخطوطات  
الغنائية .

\* \* \*

لم يسفر الحفر طول النهار عن شيء جديد .. أخرجت المعاول  
قناطير من الرمال .. ثم لا شيء .

كانت قطع الحجارة التي يعثر عليها مفتتة .

وتحت الحجارة كنا نجد تلالاً أخرى من الرمال .

وحينما كانت الشمس تغرب ، كان اليأس قد بلغ منى مبغله .

وكنت أدور في مكانى مثل نحلة قطعوا رأسها .

كنت أفكر .. وأعصر دماغى .

وكل مكان في رأسى أصبح مملوءاً بكلمة واحدة هي

« حم يون » .

حينما خرقت أذنى صرخة يملوية .

لند سقط أحد العمال في حفرة .

وأسرعنا نحو العامل وانتشلناه ..

ونظرت في المكان حيث انزلت قدميه وسط الرديم ..

وبدأتنا نزيل الرمال .

لم تكن حفرة .. وإنما كان بئراً ..

وكانت سلام البئر واضحة.

كانت تنزل درجة درجة ، إلى قرب القاع . حيث تبرز  
جوانب سقطة حجرية كبيرة ..

أخيراً ..

أصبحنا على بعد خطوات من غرفة الدفن

ونزلت الدرجات .. درجة .. درجة .. وقلبي يادة من  
الانفعال .

• • •

وكان هناك تابوت من الجرانيت في وسطها محفور عليه اسم  
«حم أيون» .. وكان التابوت مغطى بغطائه ، ومنظره يبشر بأن  
المومياء الراقدة بداخله لم تسرق ..

ورفعنا الغطاء الجرانيتي ، ونحن نتعلل بالآمال لنفاجأ ،  
بالتابوت خاو على عروشه والجلثة مسروقة ..

لننظر المعتاد الذي يكسر للقلب .. والذي يتكرر في كل مقابر  
هذا العصر ..

أغلب الظن أن الهكسوس لم يبقوا حجراً على حجر في تلك  
الأيام .. ولم يتركوا معبداً أو قبراً إلا خربوه ..

وكنيت أقرأ النقوش الهيروغليفية على الجدران ، وفيها يروى  
حم أيون ، الأعمال التي قام بها .. كيف أنه قام على رأس بعثة  
إلى جبل المغارة بسيناء لإحضار الفيروز والنحاس .. وكيف نقش  
اسم أبيه الملك المعظم سليل الآلهة خنوم خوفو وى ( الاسم الكامل  
لخوفو .. وخنوم وهو الإله صانع البشر ، وهو يرسم دائماً على  
جدران المعابد أمام عجلته الفخارية ، وهو يصنع مخلوقاته البشرية )  
على مناجم النحاس ( وجد الاسم محفوراً بالفعل في مناجم النحاس  
سیناء ) .

ويروى حم أيون ، في مكان آخر ، كيف رأس بعثة إلى مدينة  
حبل ببناد ، لإحضار الأخشاب .. وكيف بنى معبداً مصرياً في  
جيبيل ، لعبادة إله الشمس .

وكيف اشترك في بناء الهرم الأكبر ، وفي هندسة المعبد  
الجنائزى أمامه ، وكيف رصف أرضية المعبد بحجر الدولوريت  
الأسود المقطوع من محاجر الفيوم .

وكيف أنشأ جسراً ضخماً ، ينزل من الهضبة حيث الهرم إلى  
الوادي حيث معبد الوادي الكبير ، ورصد الفنانين لزخرفته وتزيينه  
باللوحات الجميلة ( لم يكتشف المعبد ، ولا الجسر بعد ومكانه  
بحسب الكلام يقع تحت نزلة السمان ) وفي أسفل الكلام إشارة عن  
تغيير في تصميم الغرف الداخلية بالهرم ، وتعديل في بناء مسالكه  
وممراته .. لكن النقوش الهيروغليفية متآكلة ، والجدار محطم  
بشكل يجعل القراءة مستحيلة .. لكن ما لفت نظري . هو رسم

هرم في أقصى الجدار ، وعلى ضلعه الأيمن ( بالنسبة لوضع  
الجدار والمقبرة يكون هو الضلع الشرقي ) علامة . يبدو أن  
هـ شرح للنص المكتوب ..

وربما كان الكلام عن مدخل على الضلع الشرقي للهرم كما قال  
نون مح .

حتمال .. مجرد احتمال ..

ولكن بدون هذا الاحتمال يبدو وجود الرسم الهرم غير  
مفهوم إلا إذا كان حرفاً هيروغليفياً جديداً لا نعرفه في قواميسنا .

كنت منهمكاً في قراءة الكتابة الهيروغليفية ، حينما قال لي  
العمل بجوارى أن هناك سرداب .

وكان العامل يطل من طاقة مستديرة في الجدار ..

وأسرعت إلى حيث يطل ، ووضعت عيني في الطاقة ، لأجد  
تمثالا محطماً ، أغلب الظن أنه تمثال حم أيون نفسه .. وعلى مدى  
ما ترى العين ، كان هناك سرداب طويل .

وكان لابد أن نوسع الطاقة ، لندخل إلى السرداب ..

وكانت على جدران السرداب ، صلاة إلى حورس ، الذي  
يرعى أجسام الموتى ، ليبدل الميت على طعامه ، ويعاونه على أن  
يتغذى من قربانه . ويتنفس الهواء الطلق ، حتى لا يختنق في  
صندوقه ، ويجوع ويأكل من برازه ، ويشرب من بوله .

وعلى جانبي السرداب . تراصت صفوف من أواني الجعة  
الفخارية .. وفي أحد الأركان إناء كبير ، فيه عدد من اللقافات  
البردية .. الكنز الثمين الذي كنت أبحث عنه ..

\* \* \*

وحيثما عدت إلى مكاني في مساء ذلك اليوم ، كانت هذه  
أحلام كثيرة تراودني ..

أن خرافة « حم أيون » لم تعد خرافة ..

ونقوش المقبرة أثبتت أن تصميم الغرف الداخلية للهرم قد  
أجرى فيه تعديلات ، والمسالك والممرات السرية ، رسمت لها  
مداخل جديدة ..

والعلامة على الضلع الشرقى للشكل الهرمي المرسوم ، لا بد  
أنها تدل على شيء ..

كنت أقرب بسرعة من السر .

وبسطت البرديات أمامي ..

كانت مجموعة من الوصايا ..

مررت عليها بسرعة بحثاً عن هدي ..

ولكن لم أجد سوى وصايا ، من السطر الأول للأخير ..

والظاهر أنها كانت الوصايا التي حفظها حم أيون عن أسلافه  
.. أو أنها جزء من كتاب الوصايا الذي كان يعلمه المعلمون في  
ذلك العصر ..

تقول البرديات :

احذر من الاقتراب من النساء في أي مكان تدخله ، فقد  
انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك .. إنها لحظة  
قصيرة كاللحم ، والموت جزاء الاستمتاع بها .

لقد سمعت بأنك تجرى وراء ملذاتك ، وتذهب من شارع إلى  
شارع ، حيث تفوح رائحة الجعة من فمك ..

إن الجعة تنفر الناس منك ، وتؤدي بك إلى الهلاك ، وتجعلك  
كدفة مكسورة في سفينة ، لا تفيد في التوجيه إلى يمين أو يسار ..

لا يداخلك الغرور بسبب علمك ، ولا تختال وتنفخ أوداجك ،  
لأنك رجل عالم .. استشر الجاهل ، كما تستشير العالم ، فما من أحد  
استطاع أن يصل إلى آخر حدود الفن . ولا يوجد الفنان الذي  
يبلغ الكمال في إجادته ..

الحديث الممتع ، أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون  
ومع ذلك ، فربما تجده لدى الأرقاء والجواري اللاتي يجلسن  
الرحى ..

هدي من روع الباكي ، ولا تنظم الأرملة ، ولا تنحرف مائلاً  
من ثروة أبيه . ولا تطرد موظفاً من عمله ، وكن على من  
مظلوم ، بضمير الانتقام من ظالمه ..



لا تقتل . فإن ذلك لن يكون ذا فائدة ، بل عاقب بالضرب  
والحبس . فإن ذلك يقيم دعائم البلاد . اللهم إلا من يثور عليك .  
وتتضح لك مقاصده . فإن الله يعلم خائنة القلب ، والله هو الذي  
يعاقب بالموت ..

لا تقتل رجلاً إذا كنت تعرف جميل مزاياه .

ولا تقتل رجلاً كنت تتلو معه الكتابات ( يعني زميلك في  
الدراسة ) ..

لا يوجد شجاع في ظلام الليل . ولا يمكن لإنسان أن يحارب  
وهو وحيد ..

لا أصدقاء لأحد في يوم الأسى .

إذا كان لسانك هو دفة سفينتك . فإن إله الكون هو ربانها ..

إن الكلام يتدفق بسرعة عندما يحس القلب بالأذى وهو  
أسرع من الشلال عند مخرج المياه . فاحذر من الاندفاع بماء  
الغضب ..

لا تقل « ليست لي خطيئة » وتشغل نفسك بالتفكير في  
خطايا الناس .. فالله وحده هو المختص بالحكم في خطايا الناس وهو  
لذي ختم على أقدارهم بأصبعه ..

لا ترقد في الليل خائفاً مما يأتي به الغد . فالله يحقق دائماً  
ما يريد ..

لا تتخذ الرجل سريع الغضب لك صاحباً .

لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك في منزلها ، إذا كنت  
تعم أنها سيدة صالحة .. لا تقل لها أين الشيء .. أين مكانه .. أين  
أجده .. إذ كنت قد وضعت في مكانه المعهود .. لاحظ بعينيك  
ولزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها ..

يا لها من سعادة حينما تضم يدك إلى يدها .. كثير من الناس  
ها لا يعرفون حال الإنسان ، دون حدوث الشقاق في منزله ..

ليكن قلبك ثابتاً غير متقلب ، ولا ندع امرأة أخرى تسرق  
قلبك ..

ضعف الحيز الذي تعطيه لأهلك ، وأحملها كما حملتك ..

لقد كنت عبثاً ثقيلاً عليها ، ولكنها لم تتركه للآخرين يحملونه ..

لقد حملتك تسعة شهور في بطنها ، وظلت مغلولة بك . وظل  
شيء في قلبك مدى ثلاث سنوات ... وبالرغم من أن قذوراتك  
شيء تنقزز منه النفس ، فإن قلبها لم يتقزز .. ولم تقل ماذا أفعل  
في هذه القاذورات ..

لقد أدخلتك المدرسة عندما ذهبت لتتعلم الكتابة .. وكانت  
تذهب من أجلك كل يوم تحمل إليك الخبز والجمعة من منزلها ..  
والآن وأنت شاب ولك زوجة ، تذكر ما فعلته لك أمك ،  
ولا تجعلها ترفع يديها إلى الله لتشكوك ..

لا تميز بين شخص ذى حيثة . وشخص فقير ، بل عاهد كل  
إنسان بحسب عمل يديه ..

لا تحدث ضرراً لمبنى أقامه غيرك ، ولا تبني قبرك من أحجار  
الحرائث .

إن أذن الطفل موضوعة فوق ظهره ، وهو يحسن السمع عندما  
يضرب .

لا تقضى يوماً واحداً دون عمل ، وإلا فيسكون الضرب  
نصيبك .

إذا جلست على الأكل مع أشخاص كثيرين ، فلا تقبل كثيراً  
على الطعام ، حتى ولو كنت تشتهي ، فإنه من المخجل أن يكون  
لإنسان شرها ..

إن كأساً واحدة من الماء تروى الظمأ ، ولا فائدة من الإفراط  
في الشراب ، فلن يقوى هذا قلبك .

تذكر أن شبابك هو أئمن كنز تملكه ، وافعل في شبابك ما يهينك

في شيخوختك . فإنت لا تعرف شيخوخته . حيث أنهم ساكن  
لاهم . وحيث ضيقن كثير . ولأدب مصائبهم .  
هذه كثير نسيان . والآنف مسدود لا يستشق فخره . وبقية  
وغيره . كالأهم مؤلم . وطمع حس . كطمع فميج . والعقل  
حصي في كل أمور

ناب هذه خلاصة الكتب ووصفها . وعلم هذه ووصفها  
كل مكتوبة شعراً

هكذا هذه نهاية ما حصلت عليه من مقبرة . حميدون .

هنا كل مقدر إلى أن تمضي وحدي لاكتشف نية أسر .

كل دليل كنت تشير إلى أن لصلع الشرق للهزم هو  
ملاك باب السرى .

وخصع الشرق هو أصعب الأماك صعيداً في فخره . فأحجاره

أربعة وسبعة وحادة الأركان . وكل حجر منها كالجب .

كنت مستعرقاً في التفكير . حينئذ لمت نظري كومة بوسمة  
من المكتب ..

قد أعصت أمرها طوال هذه الأيام . حتى تراكت هكذا ..

وكانت أغصها استعارات من متحف المصري عن معومات

ومواصفات خاصة بالقطع الأثرية التي اكتشفناها أخيراً، وعن ظروف كشفها ..

أما الخطاب الأخير فقد كان عليه طابع من الهند ..  
وفتحته في قنق ..

كان من أمرى خان ، ينعى فيه وفاة البراهما ، ويسألني عن أحوالي ، ويقول إن البراهما سأل عني قبل أن يموت ..

وتاريخ الخطاب ١٠ ديسمبر وهو تاريخ متفق مع ليلة اكتشاف لمقبرة أمحوتب . وتلك اللبنة التي قضيتها في أحلام مشوشة مختلطة ، وكانت صورة البراهما تختلط على بصورة أمحوتب طوال الليل ..

أمسكت بالخطاب في رهبة ورحت أفكر في البراهما ..

ونخيل إلى أنه يملأ المكان حولي ..

وحاولت أن أستلهمه الصواب ..

إذا كان الإنسان له بقاء بعد الموت ..

وإذا كانت الأرواح المتحابة تتواصل ، فلا شك أنه سوف يلهمني ..

لا يمكن أن يكون الإنسان هو ذلك تركيب المعقد من البروتينات والأملاح المعدنية ولا شيء غير ذلك .

ب هذه المواد البروتينية الحساسة ليست سوى جهاز الكتابة المتقائية في يد روح شفيفة تصور به فكرها ويلهامها ..

كنت أشعر أنه لا بد من المضي في طريق إلى آخره لاكتشف الحقيقة أو أهلك دونها .

ولم يكن أمامي سوى سبيل واحد ..

هو الصعود على طريق الآلام ..

— ولماذا تبحث عن باب سرى ، لتدخل منه إلى ماذا ؟؟

إن داخل الهرم أصبح مكشوفاً ، لا سر فيه ..

المسالك والممرات وغرفة الملك .. وغرفة الملكة .. والبئر كلها أماكن اكتشفت أمرها .. وفي إمكانك أن تدخلها بقرش ومعلك دليل من مصلحة السياحة يشرح لك ما تراه مجاناً ..

وحينما قلت له : إن هذه الممرات والمسالك والغرف مزيفة .. وأن تابوت الملك الفارغ وضعه الفراعنة للتضليل .. عاد يضحك .. ونظر إلى كأنه ينظر إلى مخبول ..

— أنسيت أن الهرم كان نهياً مباحاً لكل مقتحم من أيام الهكسوس إلى أيام محمد على ، حيث فكر التركي الغازى أن يقتلع حجارتها ، لينشئ بها القناطر الخيرية .. وأنه لم يوجد لص هاو ، أو محترف ، خلال الأربعة آلاف سنة ، التي مضت إلا ونقبه بحثاً عن الأسرار الخرافية التي تكلمنى عنها ..

الهرم لم يبق منه إلا خرابة مفتوحة نهبا للصوم ..

الهرم لا سر فيه .. أنت تعلم ..

ولم أشأ أن أقول له أنى أحلم بالفعل ..

ولم أشأ أن أروى له ما رأيته من أمر البراهما ، ونون محب ،

« الصعود على طريق الآلام » تعبير متواضع جداً عن الصعود على الهرم من حافته الشرقية ..

إسها مخاطرة رهيبة مخوفة بالموت فى كل خطوة ..

كل حجر يحتاج إلى ساعة من الاحتياال حوله ، فهو أمدس وسامق كالجلبل ، ولا بد أن تنبش فيه الأظافر والخطاطيف حتى تتسلق عليه ..

وفى سن الخمسين يصبح كل شىء صعباً ..

كنت أستريح بعد كل حجر ، وكأنى قطعت عشرة أميال فى الحبرى حتى فقدت أنفاسى ..

لقد حاولت أن أحصل من مدير مصلحة الآثار على أمر بتجهيز بعثة لاستكشاف الحافة الشرقية للهرم ، ورفع السقالات اللازمة .  
وحينما علم المدير أنى أبحث عن باب سرى للهرم ضحك .. ضحك حتى استلقى على قفاه ..

حتى لا يفسدني في قيص الكتاف ، ويرسلني إلى مستشفى  
المجاذيب ..

وأخذت المخاطرة كلها على عاتقي وحدي ..

لم أجد دليلاً يقبل أن يصاحبني في صعودي عبر هذه الحافة  
الخطرة .. ولم يكن منهم من يعرف طريقه لعبور هذه الحافة  
بالفعل ..

كنت أول من يرتاد هذا الطريق ..

وكان يعزيني أنني لن أحتاج لأكثر من الصعود إلى الثلث الأول  
من الحافة .. فالعلامة كانت في مكان ما بالثلث الأول ..

إن آلامى لن تطول .

وكنت أفحص كل حجر من جميع جوانبه قبل أن أرشق فيه  
الخطاف ، باحثاً عن مكان يمكن أن يكون باباً .. وأتخسس الحجر  
الصلد وأدق عليه ، وأسمع الاهتزازات الصوتية بأذني ..

كانت كل كتلة حجرية مصمتة من جميع جوانبها .. لا أثر  
يدل على تجويف أو ممر مفرغ بالداخل ..

ورحت أرشق الخطاف وأصعد ..

وفجأة أحسست بالخطاف ينزلق ويهوى .. ورأيت هسي  
تدهور من حالي .. وأرتطم في أكثر من مكان من جسدي ..  
صقت سماء على الأرض .. ورأيت وجه البرهم نظراً إلى  
شرفي .

\* \* \*

وحينما فتحت عيني كنت راقداً في سرير في مستشفى .  
در عى وساقى في حبات .. وحول صدري أربطة عديدة  
أصممت حتى نمتي .

كان على رأسي طبيب ينظر إلى صدره حذية ويهمس :

لقد نجوت بمعزة ..

وكت أحمق في الجسد ولأربطة اللاصقة التي تحيطني من كل  
مكان .. غير مصدق لهذه النجاة المزعومة .

ويردف الطبيب :

— نعم .. لقد كسرت ذراعك وساقك . وتحطمت بعض  
صواعك .. ولكن رأسك لم يصب بسوء . وعظم حوضك سليمة  
وهذا أمر خارق بالنسبة لرجل يسقط من أعلى الهرم ويرتطم  
مرة بعد مرة بأحجاره .. لقد كنت للملائكة تحملك على يدي ..

وكل المدير يقف بجوار الطبيب ويهتف في دهشة :

أنت فقدت عقلك بلا شك .. كيف تفعل هذا الفعل :  
ألم أقل لك إن ما تفكر فيه هو الجنون بعينه ..

نعم إنه الجنون ..

وحياتنا كلها جنون ..

نحن نأكل الجوع ، ونشرب الظمأ ، ونحصد الندم . ونموت  
جهلاء ، كما ولدنا ، لانعرف من أين وإلى أين وكيف ..  
ولماذا .. كنا .. وكيف أصبحنا .. أليس هذا هو الجنون ..

كنت أفكر وشفقتاى مضمومتان ، وعيناى حائمتان فى الغرفة  
البيضاء كأنها الوهم .. وأنفاسى تؤلمنى كأنها مناشير .. ولا أقوى  
على الكلام ..

وغرس الطبيب حقنة المورفين فى ذراعى .

وهدأت المناشير ..

أصبحت مثل أفاعى لينة تلتف حول صدرى وتضغط عليه فى  
حنان مخيف ..

\*\*\*

خيم الظلام على الغرفة ..

وانقطعت خطوات النوبتجى السهران من الممر ..

وانسدل سكون رهيب ..

إن ما قاله الحكيم المصرى القديم فى كتاب وصاياه صحيح ..  
حقاً .. لا يوجد شجاع فى ظلام الليل .. ولا يمكن لإنسان  
يحب وهو وحيد ..

بنى شعر بأنى أقرب من ختام قصتى ..

أشعر بالخوف يغتصبنى اغتصاباً ..

أشعر أنى فقدت الشجاعة ، وفقدت الوسيلة إلى أى شىء ..  
فهاهما ذراعى مكسورتان ، وأنفاسى هى الأخرى متقطعة  
مكسورة . وقلبي كبير ، وعقلي عاجز ..

لقد بلغت نهاية القدرة على طريق الآلام ..

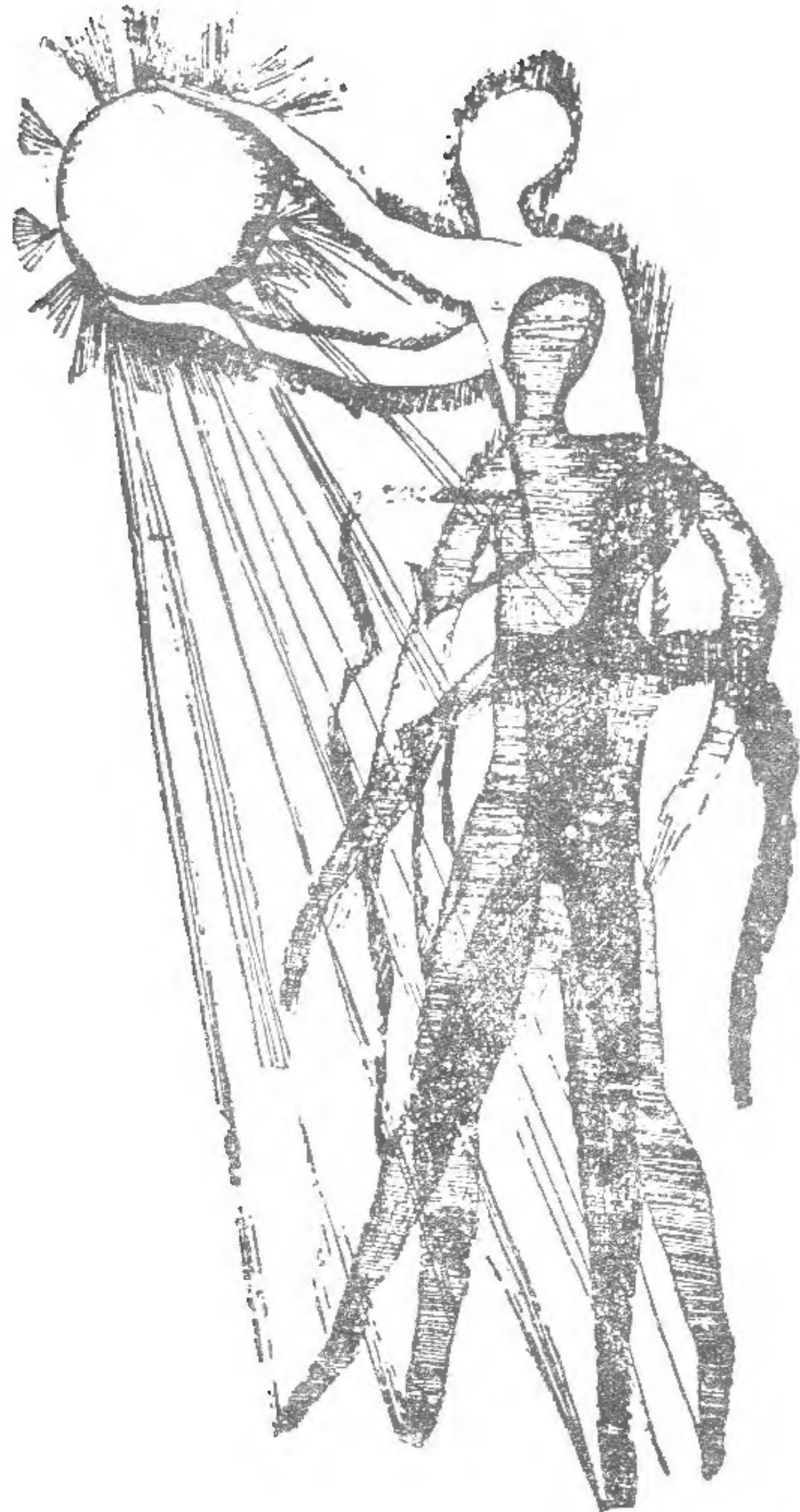
وعلى الآخرين أن يكملوا الرحلة مستدلين بالعلامات القليلة  
انى وضعتها على الطريق ..

لم أعد أستطيع أن أفعل شيئاً ..

وكيف يستطيع عقل وحيد ، يتحدى رؤى الواقع الصفيق أن  
يفعل أكثر مما فعلت .. ما أنا إلا إشارة على الطريق ..

والطريق طويل بلا نهاية .. ولا بد أن تتكاتف كل العقول





لإضاءته واكتشافه . . إن ما نعلمه قليل . . وما نجهله كثير  
لاحد له . .

والإنسان عدو لما يجهل . . وهو لهذا لا يحاول أن يفهم . .  
ويغلق كل باب يدخل منه النور بغبائه وتعصبه . .

ولكن الحقيقة أعظم من أن يحتكرها عقل واحد ، أو منهج  
واحد . .

والحياة فوق جميع المذاهب ، لأنها أصل لما جميعاً . .

ولكن التعصب يسد الطريق على كل عقل يحاول أن يجتهد ،  
ويحجب عنه المدد الذي يأتيه من ينبوع العظيم الذي لا ينضب  
. . من الحياة . .

وحينما تتحكم المذاهب في الحياة . : تتجمد الحياة وتتوقف  
وتموت . .

تموت الدهشة . . ويموت الفضول والخيال والابتكار . .

تموت النشوة الخارقة التي يبعثها المجهول ، وتتحول الحياة إلى  
قواعد وقوانين يسمونها علماً . . وهي ليست من العلم في  
شيء . .

العلم مفتوح الذراعين لكل الحقائق . .

العلم لا ينحجر من مناقشة الوهم والهلديان والخرافة . . لأن  
المعرفة غير المحدودة قانه نه ، والتواضع خلقه . .

العقل لا يخشى اللامعقول .

والإرادة لا تعرف المستحيل . .

سوف يرى الكثيرون في بعض ما رويته في قصتي خرافات

لماذا لانحاول أن نفهم معاً ، بدلا من أن نحتقر ما نجهله ،  
ونقول عنه خرافات . .

إن الحقيقة أقرب إلينا من أصص الرياحان ، التي نضعها تحت  
نوافذنا ، لو حاولنا أن نفهم .. إنها تحت أنوفنا ، ولكننا نستعمل  
أنوفنا وفقاً لتقاليد وضعت لنا من قبل . . لماذا لانحاول أن نشم  
في حرية ؟

لماذا لاننظر ببراءة الطفل ، لنرى الأشياء في جدتها المدهشة ،  
ولنرى الظواهر نابضة ، موحية بآلاف الحقائق . .

\* \*

ليس لدى ما أضفة لهواة الغيب . . فما عندي قد قلته .

وقدرتي بلغت نهايتها

وكل ما أملكه ، هو أن أشير إلى الحقيقة . أشير إليها بذراعي  
مكسورتين .

إن حياة تنتهي بالموت ، ولا بقاء بعدها ، هي حياة لاتستحق  
أن نحياها .

إنها ليست حياتنا .

إن حياتنا أعظم من أن تنتهي إلى الدود والتراب .

إن القداسة التي تتسم بها الحياة في صميمها ، تنفي عنها هذه  
النهاية الهائلة .

هل فكر أحدكم في نفسه ؟ .

هذه النفس التي صيغت من مادة الهلديان والأحلام والرؤى .

إن أبجل ما أخرجته لنا حضارة الإنسان ، بدأ حلماً . .

كل ما يقوم على الأرض من مدن وأبراج ومصانع ومعابد  
بدأ حلماً وهدياناً ورسوماً وخطوطاً مجردة في الفراغ . . بدأ هباء  
في عقل . .

من نبضة خيال ، قام العالم . .

كلمة السر هي هنا . .

في داخل نفوسنا ..

لو أننا فكرنا في نفوسنا، لروعتنا أكثر من كل صنوف السحر  
ولكننا نحصى منطلقين في رحلة العمر ، وعيوننا مقلوبة  
إلى الخارج .. لا ننظر إلى وراء .. ولا نتوقف لتساءل ..  
ولا نتأمل .

نلتهمس الأسرار ، والأسرار فينا ..

ونبحث عن السحر .. ونحن السحر ..

، ننتظر المعجزة ، ونحن المعجزة ..

كيف يمكن أن تصبح هذه النفس حفنة من تراب ، وتنتهي  
إلى لا شيء ..

لا نموت .. كما أن البراهم لا يموت .. كما أنه عاش في  
كل الأمكنة، وفي كل الأزمنة .. كما أنه ولد في مختلف الحضارات  
كما تولد الكلمات . ليقول نفس الغايات .. وكأنه كان يعيش  
حضارات متعاصرة .. كذلك نحن يتعاصر فينا الماضي والحاضر ،  
ونرى سريان الزمن من منظار الأبدية .

لا موت هناك

ليس بعد الحياة ، إلا حياة ..

وليس في الكون المتحرك نقطة سكون ..

الكل يتحرك في هورة أبدية لانهاية لها ..

كما تخرج الفراشات من الشرائق .. كما تخرج السويقات الحضر  
من حبات القمح المدفونة أربعة آلاف عام .. كذلك نخرج من  
حياة ، إلى حياة ، في استمرار أبدي ..

أقول هذا لمن يجيئون بعدى ..

وأقول لمن يسألني عن متوسط عمر الإنسان ..

إنه اللانهاية ..

لوحة العلاف للفنان  
حلمي التوني

اللوحات الداخلية للفنان  
إيهاب شاكر